

مكتبة الاخلاقيات الدينية

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان

نورجيم عن التركية

المطبعة الامبركانية في بيروت سنة ١٩٢٩

240 : L 72 m A

ليفونيان - لطفي

الاخلاق الدينية . معرب

JAN 5 389

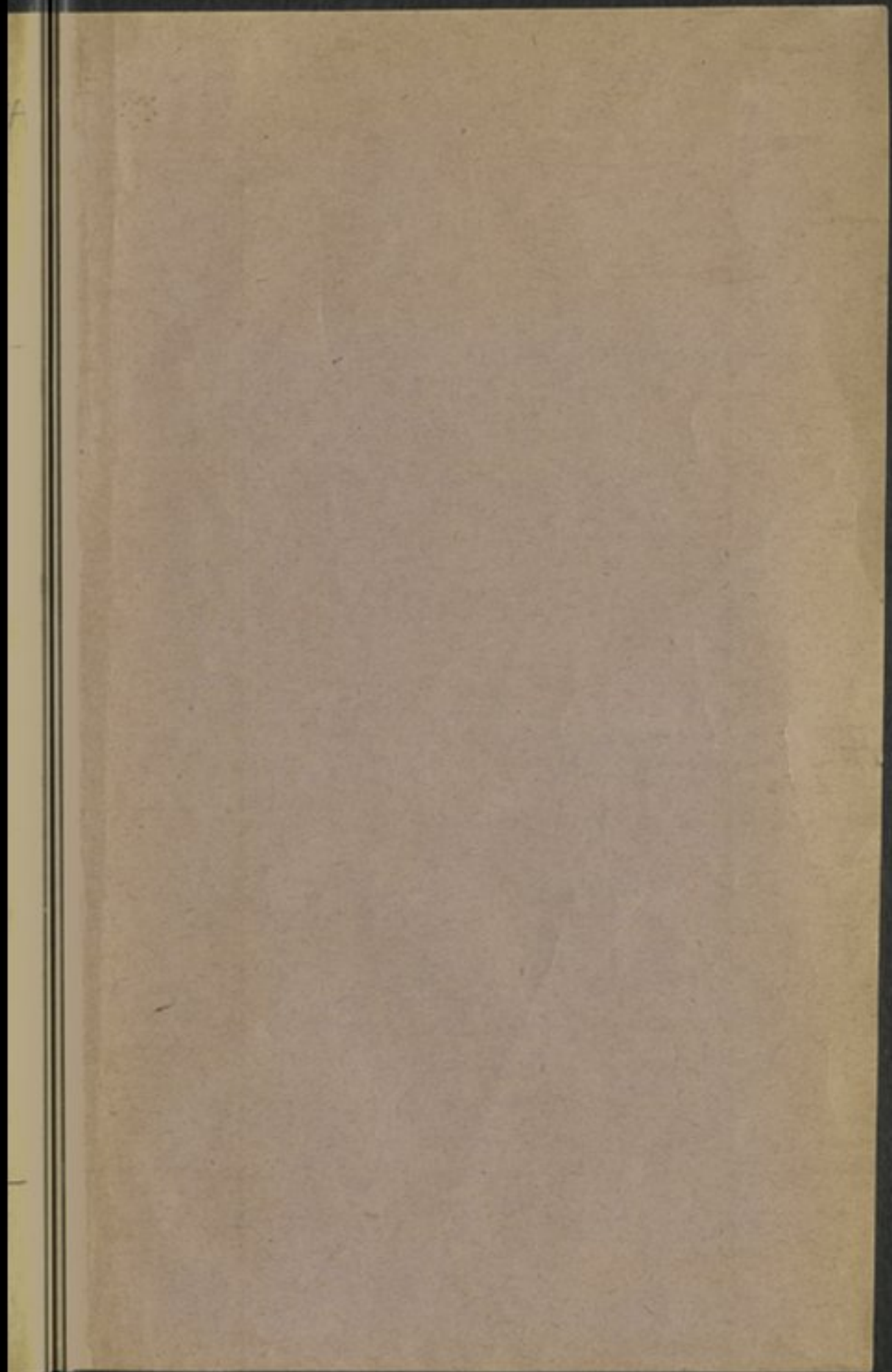
NOV 21 389

DEC 5 389

APR 13 37

DEC 17

h. b. a. 19



240
L72 m.f
C1

مكتبة الاخلاقيات الدينية

الكتاب الاول

ما هو الدين

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان



ترجم عن التركية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

38625

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٩

10-23
1885

1885

1885

1885

1885

1885

1885

مقدمة عامة

إن الحاجات المادية تشغل الناس في الأمور الاقتصادية والاجتماعية فيعرض للأفراد في حياتهم الذاتية وللعمل في حياتها الاجتماعية كثير من المسائل المشككة . وهذه المسائل التي تبدو لنا فنظنها اقتصادية او ادارية محضة هي في الحقيقة مبنية على اساسات خلقية وروحية

إنما حل هذه المسائل المشككة لا يتم الا في تجديد خلقي روحي ولكي يكون الناس أكثر سعادة وأوفر افادة في حياتهم الذاتية والاجتماعية وجب عليهم ان يتنبهوا من وجهة نظر جديدة هذه الاساسات الخلقية والروحية ويحققوا فيها لانها المسيطرة على أمور الحياة

وغابتنا ان يحصل لنا الحظ والغبطة بأن ندل على السبيل المؤدي الى اعلاء مستوى كل منا شخصياً وارتقاء بلادنا الى مستوى رفيع في الحياة متحررين الحقيقة من غير ما تحيز في هذه المواضيع الكثيرة الاهمية وهذه المبادئ التي هي بناء حياتنا الذاتية والاجتماعية

ما هو الدين

ان احد المبادئ التي تسيطر على حياتنا الذاتية والاجتماعية
واهمها بل راسها هو الدين وانه على قدر و كيفية اعتقادنا
في ديننا يتكون حوالي ذلك الاعتقاد مظهر مادي لحياتنا
وعلائقنا ولا شبهة ان الدين ، والله ، والدنيا ، والاخلاق
وكل ما له حكم في معنى الحياة ، هي عوامل اصلية
متسلطة على حياتنا وذلك باعتبارها عناصر اساسية هامة
وفي الحقيقة ليس الدين بامر منحصر بشخص وازمنة
خاصة . بل هو عامل متعلق بكل شخص في كل مكان
وكل زمان ولهذا فان انعكاسات الاعتقادات الدينية
وتأثيراتها المقابلة وعلى الاخص في العلائق البشرية المتسعة
في هذا العصر قد شملت العالم كله

بناءً عليه فقد وجب علينا اولاً ان نتحرى جيداً
ماهية الدين ونزيل من عقولنا الاراء المغلوطة فيها

وبذلك نبني افكارنا على اساسات قوية وندير ذواتنا في
علائقنا ادارة سالمة صحيحة ونكون مفيدين للمجموع
البشري

(١) في الافتكار غلطاً في الدين

يرى كثير من الناس ان الدين عبارة عن نظام
ذي مراسم خارجية وانه مجموعة قوانين تتضمن اوامر
ونواهي متعلقة بظاهر حياتنا

فشاغل هؤلاء واهتمامهم هو المحافظة على القيام
بمراسم الدين الخارجية واقامة الصلاة والطقوس في اوقاتها
حتى في الدققة المعينة واتمام فروض الصيام

وعندهم ان المطالبات الدينية تنتهي باقامتهم على وجه
ميكانيكي الفروض الدينية دون ان يشركوا فيها ذاتيتهم
الخلقية

وعلاقتهم بحياتهم الدينية تنحصر في الاوقات التي
يقضونها في المعابد

ان الذاتية الخلقية هي عندهم كلمة فارغة لا معنى لها
 فالتَّسَمُّ كذباً والحيلة ولو لاجل ربح عشر بارات
 لا تمسان ولا تقلقان اصلاً حياتهم الدينية ذلك لانهم
 قد اقاموا الصلاة في وقتها واتموا عبادتهم وفقاً لاصولها
 واركانها

فمن آثار العادة فيهم انهم نزلوا منزلة الاله الصماء
 يعملون اعمالهم على العمياء وامسى خارجاً عن عقلم
 وادراكهم ما هو موقع الدين من الحياة وما هي علاقة
 الذين بالذاتية الخلقية فلا يفقهون ولا يدققون في البعد
 الشاسع الذي بين ما في اعمالهم من عدم الانصاف ومن
 الاحتيال وبين مقصد الدين العلوي وغايته الشريفة

فهم يتممون المراسم الدينية حرفياً ولا يفكرون
 قطعاً في الحياة . وعند المساء بينما هم في بيوتهم يتذكرون
 موازنة حساب اعمالهم وعلائقهم مع الناس التي مرت في
 النهار ولا يخطر لهم ببال حياة او خجل من الاحتمالات

والاطماع التي ارتكبوها بل بكل غرور يذكر ما أجروه
على وجه ميكانيكي من مراسم الصلاة والطقوس التي
أقاموها بأوقاتها

فمن تلقى واعتبر الدين على هذا الوجه كم تكون
حياته مملوءة بالرياء ومستورة بحجاب من الوهم
ان الدين بهدفه وقصده العالي بعيد ولا شك عن
هذا الاعتقاد

ان في الدين مراسم واوامر ونواهي ولكن للدين
ايضاً علاقة بما هو اذق من هذا واعمق ألا وهو الخلق
الشريف

ان نظافة الجسد امر مرغوب فيه ولكن الدين يأمر
ايضاً بنظافة القلب والفكر وحقاً ان انواع الفساد
والرداءة ليس مصدرها الاجساد بل الافكار والضمائر
ان نظرية كون الدين ليس سوى عبارة عن مراسم
خارجية تشابه كل من وجه نظرية طالب علم صيني عرفته
في انكلترا بحق المدنية فهذا الشاب كان يقلد كل التقليد

الشبان الانكليز في الملبس والزينة وكان يعتقد ان التمدن
 عبارة عن ذلك فلبس الثياب الجميلة النظيفة امر مرغوب
 فيه طبعاً ولكن ليس بهذا اللباس الجميل التنظيف يطهر
 الفكر وينقى الضمير . وهكذا فان الحياة الدينية التي
 لا تصل الى القلب والضمير بل تكتفي باجراء المراسم
 الخارجية تشبه اعتقاد هذا الشاب الصيني في المدينة

وليس للدين من راحة في الادعية الطويلة
 والصلوات النافلة التي يقيمها الذين لا يفكرون بتنقية
 قلوبهم من الحسد والطمع والحرص

ان القلوب المملانة جشعاً ورياء لا يرى ذووها وجه الله
 ولكن يتمتع به ارباب القلوب الطاهرة والضمائر الحية
 الذين يقومون بعبادة وصلاة حقيقة ولا تقبل العبادة
 ما لم تصدر عن اخلاص وطهارة

(٢) وفي اعتقاد البعض الاخر : ان الدين هو

الدخول بمراسم خاصة في جمعية دينية والتعيين عضواً
 لاحدى الفرق المذهبية

فهو في نظرهم حارز حاور قوة خارقة العادة يصون
 تابعيه من كل المصائب واطار الحياة الحاضرة والمقبلة
 واما الكهان المنفذون لهذه العقائد الدينية فهم في نظرهم
 اشخاص ممتازون بهذه القوة الساحرة وبسبب ما لهم من
 تلك القوى وبقوة الطقوس والمراسم التي يجرونها
 يمنحون الحياة الابدية فمن نقس مرة بواسطة تلك المراسم
 المخصوصة اصبح دائماً مقبولا عند الله

ومن كان هذا اعتقاده في الدين فهو يستند بذلك
 الى الاحساس وعنده ان اشد الناس تديناً هو من راي
 رؤيا او نزل عليه وحي

ان احساسهم الجائش في ذلك المعبد المذهب الملان
 فضاؤه بالاسرار العجيبة وامام تلك الشموع المتقدة
 بانوارها الصفراء وذلك البخور العطري المنبه الخيلة
 هذا الاحساس يجعلهم مقتنعين تمام الاقتناع بصحة اعتقادهم
 وهناك في دهاليز تلك المعابد الرطبة المظلمة يرطون
 حرارة اشتياقهم الديني

ان بين هذه المذاهب وبين الدين الحقيقي هوة عميقة
وبونا شاسعاً. اجل ان للاحساس في الدين مقاماً ولكن الدين
لا يكثرث للاحساس الذي لا علاقة له بالحياة بل هو
اقوى واشد محافظ على الذاتية الخلقية الضرورية للحياة
الملائنة بالجدال والخصام

فالظن ان الذهاب مراراً الى المعبد واستغفار الذنوب
بتلاوة الادعية غيباً في مراسم واسرار غريبة يصلنا بالله
هو ظن فاسد

الدين لا يطالبنا باضطرام احساسنا واهاجنه بل
يطالب باثار خلقية في افكارنا فهو يطلب ان يكون
لنا وجدان طاهر ونزيه وان نترفع باخلاقنا عن دركة
اشراكنا الله في احتيالنا واماينا الكاذبة في معاملتنا اليومية
فالتدين ان نحوز في نفوسنا ملكة اخلاقية تلزمنا على
احترام ابناء جنسنا وتقابل بالمحبة خصام اعدائنا

ان المورخ الشهير بلوتارخ عندما كتب عن دين
اليونان القدماء قال ان الناس قد عبدوا الاله ابلو في

دلفي ثلاثة الاف سنة ففي الحقيقة ان مدينة دلفي كانت
مزدانة باثار اعظم النحاتين والفنانين وابعدهم شهرة وقد
كانت المراسم والطقوس تجري هناك باحتشام واحتفال
عظيمين جداً

ولكن التاريخ قد نقل لنا بذلك درساً مفيداً وموثقاً
فانه لم يبق من اثار دلفي واثار ابلو شي سوى معلومات
وضيعة في احدى زوايا التاريخ

ان دين المصريين القدماء قد سيطر على الاهالي اربعة
الاف سنة فان مصر قد اظهرت اقتدارها الصناعي في
معابدها الفخمة وفي تلك التماثيل التي كانت تزين المعابد
فالكهنة المصريون الذين كانوا يتشحون من الراس الى
القدم باللبسة البيضاء مثل الثلج كانوا يتركون في
نفوس الوف الزائرين الوافدين من كل الجهات قوة قدسية
ولكن اليوم لم يبق لذلك الدين ولا لاولئك الكهنة
من اثر

فالسبب الاصلي لانقراض هذه الاديان التي

تحكمت في الناس الوف السنين هو الظن بان الدين نوع
 من السحر وتجريده من الاخلاق والحياة فكثيراً ما كان
 يذهب بعضهم الى تلك المعابد مسوقاً بادنى واسفل
 المقاصد والنيات وكانت تلك الامكنة المؤسسة للعبادة
 اسهل الوسائل للوصول الى تلك الغايات السافلة لان
 الكهنة العالمين بما يضمره هؤلاء الناس كانوا يفضون
 الطرف لقاء ما يقدمون للمعبد من الدراهم . والالهة لم
 تكن تعترض على ذلك . لانه لم يظهر ان بين ذلك الدين
 والاخلاق من علاقة

انها والحق اعتقادات واوهام فاسدة . . .
 ان الاحساسات الخلقية راسخة في اعماق الانسان
 والحياة التي لا فرق فيها بين الحقيقة والوهم وبين الصدق
 والكذب هي حياة بعيدة عن الدين
 الدين مؤسس على الحقيقة والدين الذي لا يبنى على
 اساس الحقيقة هذا يشبه بناءً فخماً شيد على الرمل فمثل
 هذا البناء يملأ في النظرة الاولى القلب هيبة وجلالاً

ولكن ربحاً قوية تهب عليه فتسقطه الى الحضيض
 فمن شاء التدين الصحيح وجب عليه قبل كل شيء
 ان يحب الحقيقة وان يتخذ الحق له دليلاً
 (٣) والدين عند قسم اخر من الناس هو المعرفة
 فيحسبونه جزءاً من العلوم الفكرية
 وبناءً عليه فعندهم ان اساس الدين هو الاقتدار
 على الافتكار القويم بالمسائل الدينية والالهيات
 فالوقوف على الاسرار الالهية وتعلم الكتب المنزلة
 والملمهة من اولها لاخرها وادراك رموزها بصورة غير
 التي يفهمها بها الناس والتكلم بكلام صحيح عن الايمان
 وبكلمة واحدة : كون المرء حكيماً وعالمًا هو الدين
 عندهم

وبناءً على هذا المذهب هم يقرأون الكتب ويحتمدون
 بفهم تفاسيرها ويسعون ليكون لهم نظرية مستقيمة عن
 الالهية والتكوين وامور الاخرة . واستناداً الى هذه
 المعارف يدعون بانهم متدينون

ان في هذا المذهب بعض الحقيقة . لان العلم قسم
 من الدين الصحيح ويلزم في الدين الحقيقي ان يكون
 المرء عارفاً معرفة قومية . ولكن الدين باعتبار ماهيته ليس
 المعرفة . ولو كان كذلك لاصبح في حكم الطبيعة خاصاً
 بالمتعلمين ولوجب لكي يكون المرء متديناً ان يطيل الجهد
 في التعلم والمطالعة

فالحق ان الدين هدفه في الحياة الوضع القويم فمن
 رغب ان يكون متديناً عليه ان يتخذ له وضعاً قوياً وانه
 لا فضل ديناً ان يحرز الانسان وضعاً قوياً امام الله والناس
 الذين يعيشواياهم من ان يجهد نفسه لاحراز معلومات
 صحيحة عن الله والعوالم فالدين الصحيح يعلمنا باصرار
 وتاكيد ان الله واحد . والمتدينون يقرّون ويعترفون
 بوحداية الله . ولكن الدين لا يتم بالاقرار والاعتراف
 والاعتقاد بوحداية الله فحسب بل وبالتعبد لله الواحد
 بالروح والقلب والاعتراف بان كل البشر هم خاصة الاله
 الواحد وبمعاملتهم بالحق والانصاف . لان الدين هو ارتباط

ذاتية الانسان بحضرة الله وانطباق ارادته الذاتية على
الارادة الالهية

واساساً يوجد فرق كبير بين المعرفة والايمان ومما
يوجب الاسف الشديد كون الكثيرين من الناس اصحاب
النظر السطحي يظنون ان المعرفة الصحيحة هي الايمان
ومما يؤيد قولنا الآية التي جرت مجرى الامثال (اسمعوا
اقوالهم ولا تفعلوا افعالهم)

فالدين ليس مجرد العلم والمعرفة بل هو صلاح القلب
وصلاح العمل

ومن الاكيد ان معرفة كتب جميع الانبياء والوقوف
على اعمالهم ودرس سيرهم هي امور مفيدة حميدة لكن
اصل الفضيلة هو عمل الخير بين كل الناس بلا تفريق
وتجنب الطمع . ولو ان المعرفة وحدها تكفي الانسان
لكانت الكلمات اللامعة والحكم الساطعة شملت دسايرها
الخلقية كل المسكونة

فعوضاً من المشاحنات والمناظرات الطويلة في ما هو

الحق يجب ان نملك قلوباً طاهرة ملانة من حبنا الناس
لو لخصنا كل الاراء المخالفة التي مر بنا ذكرها
لائضح لنا ان الخطل في الاعتقاد الديني ناشئ عن النظر
سطحياً الى حقيقة الدين وغايته

وفي الواقع نرى الناس يعتقدون ان الدين واسطة
لنجاتهم من يد الله القادرة بتسكين غضبه الهائل وسبيل
سعيد سهل يتقلون عليه من عذاب جهنم ذات النار
والعفاريت الى الجنة الخضراء التي تجري في حقولها الانهار
يعني ان الناس اما انهم يلجئون الى الدين بتاثيرات
الطقوس والمراسم الساحرة الجذابة وباجراء العقائد
الخارجية . واما انهم يتحرون في الدين السعادة الابدية
عن طريق المباحثات في كلام الايمان الذي يعتقدونه
قوياً

والفرق بين المتدين والملحد ليس في كون احدهما
يؤمن بالمراسم والعقائد والاخر ينكرها انما الفرق بينهما
هو في تفهم معنى الحياه وموقف كل منهما امام شؤونها

وها نحن نوضح هذا الفكر وهذه الحياة بمثلٍ نضربه
 كانت سفينة تبحر في ليل مدلم فارسلت انواراً
 متقطعة في كل ثانية وكان بعض ركبائها يتفرجون على
 تلك الانوار فاخذ كل منهم يفهم هذا العمل طبقاً لرايه
 وخلافاً لما فهم الآخرون . فقال واحد انها لعبة للسلوى
 وللاستهزاء من ظلام الليل وزعم الآخر وكان من الشعراء
 انها نجوم صناعية تضيء وتنطفيء واعتقد الثالث وكان
 مصيباً انها اشارات تدل على توقع حدوث خطر فاتخذ
 لنفسه اسباب الخلاص

هكذا هي الحياة فانها تشبه كثيراً هذا المثل
 مسرات الحياة ومصائبها مشاع بين الناس المؤمنين
 والكافر على ان المؤمن الحقيقي يتلقى المصيبة بصبر
 ويعتقد انها افتقار من الله لاجل ايقاظه وتنبيهه فيزداد
 جسارة في اعماله الصالحة بينما الملحد يسرّ مروراً لا
 يوصف من حسن الحظ والطالع واما عند المصيبة فيسقط
 في هوة اليأس ويلعن الحياة ولا يفهم معناها ومثل

اوراق الخريف يصفرُ ويتناثر

فهذا هو الدين . ان تفهم معنى الحياة جيداً وان
تقف عند المصائب موقفاً قوياً واعلم انه لا يتم لاحد ان
يقضي حياة كاملة سعيدة الا بواسطة واحدة هي هذا
الدين الحقيقي الذي يدلك على هذا السبيل ويعلمك
كيف تنضي الحياة بالسعد والكمال فاذا نظرنا الى
اعتقاداتنا الدينية ودققنا بها من وجهة النظر هذه نصل
الى الحقيقة الدينية . ونحن اليوم اكثر من كل يوم
حاجة الى هذا التدقيق واشد افتقاراً اليه من كل شيء

في حياة يسوع المسيح علم لمن يريد ان يتعلم معنى
الحياة ودليل لمن يرغب بان يقف موقفاً قوياً فيها فهي
لمن يريد ان يفتكر في الدين افكاراً صحيحاً مرشداً صادقاً
ان في حياة هذا الذات الذي عاش في الدنيا فرداً
من عائلة نجار فقير فلفت اليه انظار العالم درساً مفيداً
لمن يجتهد بتفهم هذه الحياة الدينية وفائدة كبرى
فانه وان كان لم يتبدى باعماله العلنية الا بعد الثلاثين

من عمره غير ان المعلومات الكافية عن حياته حتى ذلك
العمر موجودة فكان يقوم باعاشة والدته الارملة واخوته
وعاش في الناصرة نجاراً وكان انموذجاً ومثالاً للحياة
الدينية الحقيقية بين شواغل التجارة والبناء وكان لكل
مجاوريه مثلاً صالحاً

ان الحديث المنسوب اليه الذي يقول «اقلب الخشبة
فتجدني . ارفع الحجر فانا هناك» هو بالحقيقة حديث
ذو مغزى كبير لانه يصور لك صفاء الحياة الدينية
حيث كان شغله في الناصرة ثقب الخشب ورفع الحجر
فهوذا المسيح قد دقق من بين هذه المشاغل الوضيعة في
حياة الامة اليهودية فرأى ان تلك المراسم الدينية الفخمة
التي كانوا يقيمونها وتلك الادعية الطويلة التي كانوا
يدعون الله بها ليست ديناً

ان اليهود في الفصح كانوا يقدون الى اورشليم من
كل الجهات ويجمعون في ذلك المعبد الفخم المزين باجمل
ما صنعت ايدي مهرة الصنائع من تماثيل ورموز وصور

ويقدمون ضمن مراسم عديدة القرايين والمحرقات فعرف
 المسيح ان اساس هذه العبادة لم يكن سوى مظهر خارجي
 من مظاهر الدين وايقن ان الدين هو شيء آخر اعلى
 واسمى جداً من هذه العبادة

ان تلك العظة الكبرى التي القاها على الجبل لم تكن
 خيالات شاعر جاشت في صدره العاطفة بل كلام متصاعد
 من اعماق روح رئيس العائلة الفقيرة التي تحمل عبء
 عاشتها فوقف على اعماق امرار الحياة الحقيقية وحاجاتها
 فقال ان السعادة ليست لذلك الغني المغرور بل لذلك
 الذي يقسم امواله مهما كانت قليلة بين الفقراء والمحتاجين
 وان البركة ليست لمن يرى ان كل الوسائط مشروعة
 لاستحصله على حقه بل لذلك البريء الذي يبكي . وان
 الطوبى ليست لذلك المتحكم في الناس بل لذلك الظالم
 الى الصلاح

هذه العظة كانت اسلوباً جديداً لا يوضح
 معنى الحياة جيداً وفهم حادثاتها . انه كان موقفاً جديداً

كثيراً ما حير والدته واخوته لانهم لم يكونوا يفهمون
نفسيته

المسيح ما كان ينظر الى الله من جهة انه قادر قاهر
لا يمكن اجتناب غضبه او حاكم مطلق يكافي من يطيعه
ويجازي من يعصاه . بل كان المسيح يرى في الله ابا
شفوقاً يريد السعادة الحقيقية لابنائِهِ الذين يقبلون مشيئته
وكان تابعاً لله لا عن خوف وخشية ولا عن انتظار
مكافاة بل عن علم بان السعادة الحقيقية هي في اتحاد الروح
بالله والسلوك في طريقه

والعجيب المدهش في حياة المسيح ليس المظالم
والتعديات التي تحملها بل موقفه امام تلك التعديات
والمظالم موقف المسرور المتين القلب

فحقاً ان هذا هو الدين الحقيقي

كم من الناس من يظن نفسه سعيداً ايام يتمكن من
تجنب مصيبة او خطر مع ان السبيل المودية الى السعادة

الحقيقية ليست هي هذه السبيل بل الاعتقاد بان الله منحنا
كل شيء لاجل قصد سام شريف وان نرى في حادثات
الزمان معنى جديداً هو السبيل الوحيدة الى السعادة
الحقيقية

لذلك لم يقبل المسيح المراسم ولم يؤلف في ادارة
الرهايين هيئات روحية ولم ينظم احكاماً وقوانين تتضمن
اوامر ونواهي متداعية السقوط والتهدم امام صدمات
الزمان وثقلباته حتى انه لم يزلوماً لكتابة كتاب ولو
مختصراً . انه كان يعظ في الحقول والبراري عن الزهور
والطيور ويتكلم عن حاجات الناس الابدية الحقيقية
فاوضح ان الذاتية الخلقية لا تؤخذ من هنا او من
هناك بل تكتسب بالروح والحقيقة انه كان يعيش مع
الخطاة ومع العشارين المكروهين في ذلك العصر وكان
يعلمهم بالامثال الحياة الحقيقية . الحياة الدينية الصحيحة
المسيح كان يعرف ان الله لا يسر بالمحرقات بل
بالحبة وكان يقول حب الرب الهك من كل روحك .

وحب قريبك كنفسك

ان المسيح لم يعطنا مجموعة قوانين وانظمة دينية لكنه
 احب الناس واعطى نفسه فداء عنهم لاجل خلاص
 الساقطين . فهذا هو الذي قلب الحياة الاجتماعية بشخصه
 العالي وحياته المقدسة . ان علماء زمانه المتشرعين كانوا
 قد اشبعوا الجمعية البشرية قوانين اخلاقية ولكن تدينهم
 كان مكروهاً وحياتهم كانت ملطخة . اما المسيح فانه
 لم يعط احكاماً بل عاش مثلاً لاعلى القوانين الخلقية فكان
 موقفه ووضع امام الله والناس وفي جميع ادوار حياته
 واسبابها موقفاً شريفاً ووضعاً قوياً وكان متديناً حقيقياً
 فاهماً ماهية الدين ومعناه الحقيقي

ان الشرق منشأ الاديان كلها

ونحن الشرقيين كنا عمالاً للدين ولنا به علائق
 حسنة فعالة . ولكن مما يوجب الاسف الشديد ان
 عقولنا تدنت عن فهم حقيقة الدين فاضعنا جوهره وماهيته
 واحتفظنا بتعصب بظواهره . ولو لم يكن ذلك منا لما

كان هذا التدني والسقوط في حياتنا الذاتية والاجتماعية .
 نحن اهل دين . ولكن في حياتنا الشخصية نحب الباطل
 على الحق وفي علائقنا مع بعضنا لبعض فعوضاً من اعتمادنا
 بعضنا بعضاً نحفظ في قلوبنا عداوة لبعضنا البعض وغشاً .
 اليوم اكثر من كل يوم ومن كل شيء يجب ان نطبق
 حياتنا على الدين وان نترك هذه الاعتقادات السطحية
 فهل كانت غاية الدين الا الصلح والصلاح بين
 الله والناس

مكتبة الاخلاقيات الدينية

الكتاب الثاني

اين ينبوع القوة في الدين

تأليف الامتاز لطفلي ليفونيان



ترجم عن التركية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٩

1841-1842

1843-1844

1845-1846

1847-1848

1849-1850

1851-1852

مقدمة عامة

ان الحاجات المادية تشغل الناس في الامور الاقتصادية والاجتماعية فيعرض للافراد في حياتهم الذاتية وللمل في حياتها الاجتماعية كثير من المسائل المشككة . وهذه المسائل التي تبدو لنا فنظنها اقتصادية او ادارية محضة هي في الحقيقة مبنية على اساسات خلقية وروحية

انما حل هذه المسائل المشككة لا يتم الا في تجديد خلقي روحي ولكي يكون الناس اكثر سعادة واوفر افادة في حياتهم الذاتية والاجتماعية وجب عليهم ان يتبعوا من وجهة نظر جديدة هذه الاساسات الخلقية والروحية ويحققوا فيها لانها المسيطرة على امور الحياة

وغايتنا ان يحصل لنا الحظ والغبطة بان ندل على السبيل المؤدي الى اعلاء مستوى كل منا شخصياً وارتقاء بلادنا الى مستوى رفيع في الحياة متحررين الحقيقة من غير ما تحيز في هذه المواضيع الكثيرة الاهمية وهذه المبادي التي هي بناء حياتنا الذاتية والاجتماعية

اين هو ينبوع القوة في الدين

من اهم المسائل في باب البحث في الدين مسألة القوة
في الدين

ان الانسان مالك في طبيعته على احتياجات
واشتياقات روحانية صادرة عن كونه كائناً ذا نفس حية .
والانسان محتاج ومشتاق الى الفضيلة اكثر من الرذيلة والى
القداسة اكثر من الخطيئة . هو يحارب شهواته الحيوانية
رغبة منه بان يظل طاهراً ومقدساً وهذا الشوق في
الانسان اصلي ودائم ومنذ البدء خلق الانسان مجتهداً
عاملاً على المحافظة على هذا الاشتياق الاصلي والاصيل .
والدين ايضاً انما كان طبيعياً للانسان لاجل ايفاء هذا
الاحتياج الروحاني البشري حقه . لذلك كان من اهم
المسائل التي تعرض للباحث في شؤون الدين هي مسألة
« هل ان الدين هو الذي يوجد السعي لسد هذا الاحتياج

واشباع هذا الاشتياق ام ليس هو كذلك ؟
 اننا في شرح هذه المسألة وتفسيرها نضرب لك
 مثل الطبيب الذي يدعى لعيادة مريض على خطر . فهو
 بين ان يعمل على معالجته متكللاً على علمه وحذقه فيداويه
 ويعيده للجهاد في الدنيا نشيطاً قوياً وبين انه بالرغم عن
 وقوفه على شدة الخطر ووخامة الحال وعلمه بعجزه عن
 شفائه يقول له مرضك بسيط ويعده بالشفاء القريب
 ويخدر اوجاعه بالعلاجات الكاذبة فيهدأ حاله قليلاً
 ويعود الى اعماله نحيفاً ضعيفاً منهوك القوى

هذا التشبيه ينطبق على الدين من وجهة النظر الى
 الحياة والاخلاق . فهل كان الدين في الحقيقة حائزاً على
 منبع قوة صحيحة كافية لان تشفي ضعف اخلاقنا وتعيدنا
 الى الجهاد والحياة نشيطين اقوياء او ان الدين واسطة
 لتخديرنا ببعض تدابير مغفلة عوضاً من ان تستأصل منا
 امراضنا الاخلاقية من اساساتها :

هل ان الدين قوة تنقلنا من مافل الى عالٍ ومن

نفسانية الى قدسية ومن بهيمية الى كمال الانسانية ام ان
الدين عبارة عن هيئات منظمة لكي نتصرف بنا وبدون
ان نشعر تضبطنا في ايديها ولكنها تصطادنا بالوعد في
السعادة المستقبلية لقاء اتعابنا في جهادنا في الحياة

ان كثيراً من الفلاسفة القدماء كانوا يأملون
ويوصون الانسان بان يكون دائماً مسروراً وفرحاً ولكنهم
لم يوضحوا له ما هي وسائل الفرح والسرور حتى انه
كثيراً ما كان اكبر معلم يسقط في هوة الحرص السافلة
بناء عليه هل كان الدين عبارة عن قصيدة تتضمن افكاراً
عالية لا يمكن الانسان الحصول عليها او كان المقتضي
للوصول الى تلك الافكار والمالك للقوة الباعثة على
الحصول عليها وتعبير آخر هل ان الدين باعتبار اساسه
هو خيال وفكر او انه ذو قوة حقيقية تعطي المتدين
حياة . هوذا مسألة في باب الدين من ادق المسائل
واهمها وفي مطالعته هذه المسألة ودرسها لا بد لنا من
التدقيق في مزايا الانسان الاصلية واحتياجاته الروحية

وتحليل ذلك

فالى ماذا يحتاج الانسان روحياً ؟

اولاً ان الانسان في محيطه الباطني وفي عوالمه
الداخلية وفي افكاره ومطالعاته يحتاج دائماً شديداً الحاجة الى
الانتظام مع المقدس والظاهر من الامور

اجل ان كثيراً من الناس قد افلتوا من هذا القيد
وامسوا مثل اسراب الحيوانات أمرى شهواتهم الحيوانية
فحيث يشمون رائحة شهوة يلتقون بانفسهم اليها ولكن من
كان منهم مفكراً ومتاملاً بمعنى الحياة يشعر انه ما زال
في ميدان الجهاد الاخلاقي فكما يشعر بحاساته الدينية فانه
يشعر ايضاً بما في قلبه من دافع صالح ورغماً عن عزمه الاكيد
على اتباع الصلاح فانه يعترف بانه كثيراً ما يتغلب
عليه الشر

حقاً ان الانسان من جهة احواله انباطنية يشبه ارضاً
تحتلها عصابات الاشقياء فهو دائماً عرضة لهجوم الحاسات
الغريبة المتحصنة هناك فبدلاً من التحاقه بالصالحات

يلتحق رغماً عنه بالاطماع التي كان ينفر منها . ان عالم
النفس ينقسم عادة الى قسمين ففي الشخص الواحد
شخصيتان متخاضمتان لذلك كان علينا ان نتحد مع ما هو
حي فينا من المدارك العالية وندفع بشوق الى الانتظام
مع الشواعر الصالحة . فكل انسان منا محتاج الى هذا
الانتظام الباطني

ثانياً ان الانسان محتاج الى الاتفاق مع الاشخاص
الذين له بهم علاقات وبالتالي مع الهيئة الاجتماعية البشرية
ان العقول السليمة تشمئز من الجدل والتنازع
والتضارب والاقتتال والمحاربة التي ليست في الاصل
سوى طمع بهيمي

ان الانسان الكامل الصالح يريد ان يعيش في بيته
بالصلح والراحة مع عائلته واولاده وجيرانه واقربائه ومع
جميع الناس

فسعادة الانسان الحقيقية لا يجدها في الجدل الدائم
بينه وبين ابناء جنسه بل يتيسر له هذه السعادة بالتعاون

والتعاضد والصلح الحقيقي معهم . انه لخير للانسان ان
يربح صديقاً من ان يكثر اعداءه وان يعيش محباً للناس
من ان يبغضهم . ان هذه الموازنة وهذا الانتظام التام وهذه
المصالحة الحقيقية هي ما يحتاج اليه المرء في حياته الانسانية
وهذا الشعور هو ايضاً اصلي ودائم في الانسان

ثالثاً . ان الانسان يريد ان يكون متحداً مع الله فهو
بفطرته لا يمكنه ان يستريح ما لم يتقرب الى الله بقربي
صحيحة ويرتبط به بصداقة متينة . انه يشاق الى مصالحة
الذات الجليل المبدع هذا الكون الفسيح وهذا ميل طبيعي
عام في جميع ابناء البشر حتى متوحشي افرقيا القاطنين في
الادغال والاحراج البعيدة عن التمدن فانهم يعتقدون
بوجود قوة فوق الادراك ويريدون ان يعيشوا معها
متصالحين متفقين ويتوسلون لاسترضائها بالوسائل العديدة
التي يظنونها مفيدة

واما المتمدنون من الناس فانهم يعتقدون ان هذا
الذات الجليل هو حق وقُدوس ورحيم ويتوقون الى ان

يعيشوا معه بصلح قلبي روحي فالانسان عوضاً من ان يفترق
 عن الله وان يخاصم الله يجتهد بان يكون متحداً مع الله
 وصديقاً له . ان هذا الاشتياق الروحي هو طبيعي في كل
 انسان مفكر وهو رجاء وجداني له

ويمكننا ان نلخص جميع ما سبق لنا ذكره بقولنا ان
 احتياج الانسان الروحي واشتياقه كائنات في انتظامه
 وارتباطه في حياته الذاتية وفي علاقاته مع ابناء نوعه
 وبالذات الجليل المبدع العالم . واهم امر في حياة البشر هو
 تحقيق هذا الانتظام والارتباط . كثيرون هم الذين
 ينظرون الى هذه المسألة المهمة نظراً سطحياً ضعيفاً
 فيتوهمون انه لو نزعنا من المحيط البشري الخارجي ما
 يبدو لنا فيه من عدم الانتظام والقياس العنعنات الاجتماعية
 الموجبة للتفرقة وعللنا الناس اكثر مما يعلمون فازدادت
 افكارهم تنويراً يحصل للعالم السلامة والانتظام . انهم قد
 غفلوا عن الحقيقة فان عدم الانتظام ليست اسبابه الحقيقية
 في المحيط البشري الخارجي بل هي في اعماق من ذلك ولهذا

لم تكن المسألة من البساطة عند الدرجة التي يظنون
 ان اسباب الضعف والنقص في البشر ليست في
 عدم تقديرنا الافكار العمومية بل هي بالحري في شعورنا
 بالعجز عن الوصول اليها

ان سقوطنا لم يكن سببه الاصلي عدم معرفتنا
 كيف يكون الانسان كاملاً بل عدم حصولنا على
 المقدرة الاخلاقية اللازمة ليكون الانسان كاملاً

لذلك كان اساس المسألة هو ايجاد منبع القوة
 اللازمة لاكتساب الاقتدار على الكمال وهذا هو ما
 يجب ان نتحراه في الدين لانه المكلف بتحقيق هذا
 الاشتياق الباطني وتخصير القوة اللازمة له

لكن هل قدرت الاديان ان تكون موجدة العلاج
 لهذا الاحتياج المعنوي ؟

اذا كان احتياج الانسان الحقيقي في انتظام المرء
 مع نفسه وفي انتظامه مع الله ومع اسباب الحياة فهل تحقق
 هذا الاحتياج واطمان ؟

واذا كانت هذه هي المسألة المهمة التي وجب حلها
 من مسائل الحياة فان تنظيمات دينية كثيرة قد يئست
 من حل هذه المعضلة وعوضاً من العمل يجد لاتخاذ التدابير
 الناجعة لحل المسألة حلاً حقيقياً فقد دفعوا بالناس في
 طريق اخرى اكثر سهولة ولكنها مؤدية ظاهراً الى سلامة
 حقيقية . ومن نقطة النظر هذه وبناء على التعاليم التي
 تعلموها في مذهبهم فقد ظن قوم انهم لو انزروا عن
 الحياة في احدى الجهات المنفردة واقاموا بينهم وبين الحياة
 حاجزاً من الاعتزال يحصلون على الراحة وعلى هذا الانتظام
 وذهب اخرون الى وجود فائدة سحرية في اجرائهم
 الطقوس والمراسم المحركة للعواطف والاسرار فالتجأوا
 اليها من شر غلبة الحياة

واعتقد اخرون ايضاً بانهم اذا تلوا بصدق ايمان
 بعض جمل وعبارات دينية يعتقدون بصحة انزالها يجدون
 النجاة والخلاص

وكذلك آخرون قد اقتنعوا بانهم ينالون العفو عن

سقطاتهم وزلاتهم بعملهم بعض مبرات واجتهدوا بان
يتعزوا ويتسلوا بذلك

ان هذه ميول لم تحصل كلها في مكان وزمان
معلومين بل حصلت في كل مكان وكل زمان . ولكن ولا
واحد منها كان علاجاً حقيقياً لحل المعضلة ودفع الاحتياج
الاصلي الاساسي بل عوضاً من ان تكون حازماً في امتداد
المعضلة وتعمل على حلها بصورة جدية فقد بعدت عنها
وكانت نتيجة ذلك البعد قطع الرجاء من الحصول على
هذا الانظام الباطني وعلى هذه المصالحة الروحية

ولما ايقنوا انهم سيظلون في كل وقت اسرى لهذه
الاطماع العادية رمى بعضهم بنفسه في احضان فرقة
مذهبية وحاول ان يرد الغضب الالهي عن نفسه باقامة
بعض مراسم وطقوس دينية وظن بعضهم انه من المحال
اجتناب تيار الحياة الجارف فاودع نفسه بذاته وسلمها
بدون قيد ولا شرط الى اطماع الحياة وشهواتها والتزم
العيش فيها

ان كلاً من هاتين الحالتين قد حصت من الشعور
بالعجز عن حل المسألة الاساسية لان احتياجنا واشتياقنا
ليس الى التفتيش عن جسر نعبّر عليه من جهنم الرهيبة الى
عدن ذات السرور والغبطة بل الى الحصول على انتظام
تام في حياتنا الانسانية يخلصنا من الاطاع المملطخة
صفحات حياتنا المتعددة والمتتابعة

نحن يجب علينا شخصياً ان نبعد عن محبتنا لذاتنا
وتعبدنا لشهواتنا . وان نتخلص من قيود حسياتنا الطماعة
حتى نتمكن من ادارة امورنا بتوازن تام في جهادنا للحياة
وهذا التوازن لا يحصل فقط بالمراسم والطقوس بل يحصل
بان يتبدل الانسان قلباً وروحاً وان يملك نظراً صحيحاً
جديداً الى الحياة وان يكون معيار الحياة حصل له تبديل
كلي بان يصير الانسان انساناً جديداً فكما ان الانسان
المضطرب في ابتلائه بمرض الصدر يخاف ويرتجف من
اضعف الارياح ثم لما يتداوى ويشفى يجسر على مقابلة
اقوى الارياح واشدها هكذا الانسان لكي يتمكن من

مصادمة هجمات جميع التأثيرات السافلة ولكي يصبح
متسلطاً حاكماً عليها عوضاً من ان يبقى اسيراً لها فانه يجب
ان يشفى قلباً وروحاً وان يكون صاحب حياة جديدة
وقوية وهذه مسألة مهمة جداً في حياتنا الدينية

وبالطبع ان الجهة المهمة في هذا الخصوص ليست
المباحث النظرية بل التجارب الشخصية . ان جمهوراً من
المعلمين والفلاسفة والانبياء قد اوصوا وعلموا كثيراً
لاصلاح حياتنا الاخلاقية وتبديلها

لكن بما ان قطع مراحل الحياة امر مشكل وصعب
وتجارب الحياة مركبة خشن قد عجزت هذه الوصايا وتلك
الاوامر عن تأمين وتحقيق راحة القلب وسكون الضمير
وكثيراً ما نحن ذواتنا قد ضللنا طريقنا وامسينا العوبة
تلتفها ايدي عواصف الحياة فيلزمنا اذاً الالتصاق
والتماس بالاشخاص الذين شادوا في ذواتهم بنيان ذلك
الانتظام الباطني وذلك التوازن الروحي والاطلاع على
حياتهم الباطنية وايجاد علاقة شخصية لنا بهم

من شاء ان يكون اخصائياً في فنٍ ما لا يكتفي بمطالعة
 كتب ذلك الفن وعلومه بل يلتصق بفنان كبير ويدرس
 عليه عملياً وهكذا كما انه يجب على من يريد ان يكون
 صنّاعاً ان يتعلم على صنع كبير وليس فقط ان يلتهي بحفظ
 المتون والكتب كذلك يجب على من يريد اكتساب
 الشخصية الاخلاقية ان لا يكتفي بدرس وتبع
 النظريات الاخلاقية بل زيادة على ذلك يجب عليه ان
 يصاحب ويدخل في صداقة ومرافقة من كانت اخلاقهم
 قدوة للصالح وللحياة الحقيقية . وفي الحقيقة ان التوازن
 الاخلاقي لا يتكون بحفظ المتون ولا يوجد له اكسير
 سري بل هو لا يحصل الا بالجهد الجدي وبان يرى
 المرء بذاته جمال الحياة الروحانية ويشعر بها في نفسه

هوذا حياة السيد المسيح فانها من وجهة النظر هذه
 وباعتبار تأثيرها على الانسانية يليق جداً ان تكون
 مرشدة لنا في فهم الحياة ولقدقيتها . ان حياة يسوع في
 تاريخ الدين كانت اثراً اخلاقياً فاخراً في خصوص

اظهار هذا الانتظام الباطني

وفي الحقيقة ان تأثيرها كان عظيماً في تقوية المبطلين
بضعف الاخلاق وبتنظيم حياة من كانت حياتهم
مضطربة وغير منتظمة واعادة هولاء الى ميدان الحياة
اقوياء اصحاء فان حياة يسوع من جهة التجربة الدينية
والمجاهدة الاخلاقية حائزة على معنى اساسي وقيمة ثمينة
جداً فبهذا الاعتبار كان من الضروري لنا في جهادنا
الاخلاقي ان نتأمل في حياة يسوع وتعلم منها قدسية
الحياة الاخلاقية

كان الرب يسوع اكثر الناس ميلاً الى العيش
في الصداقة الصحيحة الحقيقية فانه كان متواضع القلب
ولطيفاً ولم يكن من حد لمودته ومشاركته الاخرين في
حاسياتهم . لا شبهة بانه كما في هذا الزمان كذلك في
ذلك الزمان كان يوجد كثيرون ممن يقابلون المعروف
بالمعروف ويعاملون جيرانهم واصدقائهم بالحسنى والملاطفة
ولكن هولاء محبتهم ومودتهم ومشاركتهم للناس في بلائهم

منحصرة فقط باولئك الاصحاب والجيران وان بعضهم لم
 يكن يسر من مصادقة العامة بل كان يكرههم وينفر منهم
 وبعضهم كان يكره غير المتعصبين لدينهم وينظر اليهم
 كما الى ملاعين حتى انه كان يتجنب الاجتماع معهم
 وكذلك كان آخرون مسوقين بافكار ملية وجنسية
 يتعدون عن ليسوا من رايهم ويغضونهم . والحاصل انه
 وان كان يوجد كثير من الاشخاص الحسني المعاملة
 غير ان دائرة محبتهم واشتراكهم كانت محدودة جداً
 وبمقابل ذلك كان الرب يسوع يشارك كل الناس
 في عواطفهم مهما كانت جنسيتهم ومهما كان مذهبهم
 ومسلكتهم وكان حبه القلبي لهم لا حد له نحو الذين جاءوا
 اليه وخاطب بعطف وحنو حتى اهل الدركات السافلة
 من الهيئة الاجتماعية وكان في كل حال مستعداً ومتهيئاً
 لاغاثتهم واية مدينة او قرية دخلها كان اهلها مسرورين
 وفرحين من معاملته لهم . ان هدف حياته ليس التامين على
 مقام اجتماعي او تاسيس فرقة مذهبية بل ايقاظ الناس

الغافلين عن القدسية الاخلاقية واعانتهم في جهادهم
الاخلاقي

ان يسوع احب الناس جدا المحبة لانه علم ان فساد
الاخلاق هو السبب الاصلي لتعاسة البشر في جهاد
الحياة وبانه يلزم لخلاص البشرية المضطربة ان يوجد
للناس صديق محب حقيقي

في زمانه كان العلماء يتناقشون ويتناظرون كثيراً
في شأن الله والدين وكانوا يريدون من ذلك جعل الناس
متدينين اما هو فلم يدخل في هذا الجدل وذلك التعليم
المطولين لكنه كان حيث وجد يعلم الناس ان الله هو
حقيقة وانه ليس بعيداً عن الناس حتى لا يمكن الوصول
اليه ولا الى معرفة محله بل بالعكس هو قريب من الناس
وهو اب لهم محب وشفوق . ولم تكن تعاليم يسوع وعواطفه
كالخطب الرسمية المشبعة بالتكلف بل كانت بسيطة
طبيعية صادرة عن صميم قلبه فمن كان يسمعه كان يؤمن
من طبيعة الكلام وبساطته بانه كلام الهي ويشعر من تلقاء

نفسه بأنه ارتبط بالله برباط المحبة وانتقل في حياته من ادنى الى اعلى لان مقدرة يسوع لم تكن في تبليغه الخلق تعاليم تخوي على اسرار الهية ولم يعمل بهذه الوسطة في دعوة الناس الى الايمان . انما هو الف بين الشحيح الطماع والعبد المغدور وبين المتكبر المتعصب والخطيء المهجور . وراى ان الوسطة الوحيدة للعيش في سلام هي بان يطهر الناس من اوساخ الانانية فيربطهم بالله

هو فهم وافهم ان الله يجب ان تكون بينه وبين جميع الخلق روابط محبة قوية وان الناس اذا اصرروا على افكارهم وآرائهم الضعيفة بشأن الله فلا يمكن ان تكون بينهم وبينه تلك الروابط ولذلك قد اقتنع بلزوم افهام الناس وتعليمهم قدسية الله ومحبة ولكن ليس بالاجبار والتهديد ولا بالفلسفة المنظمة ولا بالبلاغة التي تهيج عواطف السامع بل بالعيشة بين الناس والاختلاط معهم ومصادقتهم وكان في ذلك انه تمكن من تحبيب الله الرحيم الى كل الناس ان يسوع احب مبغضيه انه كان يحسن ويجب

ويتقرب حتى الى الذين ردوا تعاليمه ولم يفهموها وحقروه
 ومن هنا نشأ سر تأثير يسوع على وجدان البشر وفي
 الحقيقة غير وجدان البشر واناره وهل من سبيل غير
 تلك الى دفع الناس في حياة جديدة . وفي الواقع انه يمكننا
 ان نوذب ونوبخ صغيراً لاجل خلق ردي . ولكن لا يمكننا
 ان نخرج منه بالقوة ميله للخصام الا بان نؤسس في قلبه
 الميل الى الخير والمحبة . يمكننا ان نحكم الانسان لاجل
 عمل شر ارتكبه ونجازه به بالمجازاة المرتبة ولكن اذا اردنا ان
 نصلحه فيقلع عن مسلكه ورداءته فذلك يستحيل علينا ما
 لم نظهر له اننا ما زلنا نعتبره حتى في ساعة سقوطه انساناً
 ونعطف ونشفق عليه فعندها نجذبه الى عمل الخير وترك
 الشر فهذا هو السبيل الذي سلكه يسوع المسيح وهو
 سبيل بسيط ولكنه عجيب النتائج فان الذين فقدوا التوازن
 في حياتهم قد عادوا الى الانتظام الطبيعي كسائر ابناء
 جنسهم وتساووا بهم
 ولم يكن احد يقطع الامل من الانتفاع من قوة وقدرة

يسوع فقد كان يجدُّ بالمحبة الحقيقية فاذا خاطب انساناً اشعل فيه الشوق الشديد الى الصلاح وكرم الاخلاق فيفصل بنوره الصافي الحار مخاطبته عن الدناءة والاطماع ويوقظ العقول الغافلة في حياة الضلالة . فهذه الطريقة البسيطة كم احدث يسوع من الانقلابات العظيمة المدهشة وكم بدّل بصورة عجيبة العلاقات البشرية

كان في ذلك الزمان في احدى القرى عشار مشهور بظلمه فقد اساء بسبب وظيفته معاملة الكثيرين واستوجب بغض وحقد جميع مواطنيه ولم يكن فيهم من يريد ان يعاشره ويتخذ له به علاقة فمرة مرّ يسوع من هناك واجتمع عليه خلق كثير وراى ان رجلاً يصعد على شجرة كانت هناك ليتمكن من مرآه . هذا الرجل كان ذلك العشار المكروه فوقف يسوع وخاطبته وتكلم اليه واغرب من ذلك انه اعلن انه سينزل تلك الليلة ضيفاً على هذا العشار فتعجب الناس واما العشار فان تعجبه كان فوق الكثير كيف ان رجلاً ملأ شجرة صلاحه العالم

يتنازل لمخاطبة رجل عادي مثله ويحل ضيفاً في داره .
 ان ذلك العطف حرك في داخل العشار شعور الانسانية
 وبينما كان الخلق لا يريدون التعامل معه اظهر له يسوع
 هذا الحب الخالص وتجاه هذه المعاملة العالية الكريمة
 التهبت روح ذلك الرجل السافل بشعور مقدس وشرع
 ينظر الى الحياة من وجهة نظر جديدة واقتنع حالاً بان
 عليه ان يعيش بعواطف انسانية شريفة وندم جداً على
 ماضي حياته وعذبه ضميره فاعلان انه سيعيد الى من كان
 ظلمه بدل الواحد اربعة امثال وهكذا قطع علاقته مع
 الماضي وارتبط بالمستقبل ونظر الى نفسه والى ابناء جنسه
 والى الله نظراً جديداً صالحاً

فمن هذا يظهر ان يسوع باشتراكه مع هذا الشخص
 المكروه بدون ان يبالي برأي الناس فيه واحتقارهم اياه قد
 بعثه انساناً جديداً مفيداً بعد ان كان شخصاً مضرراً
 للمجتمع ومنحه النظام في الحياة عوضاً من عدم الانتظام
 ونفحه ينبوع رحمة وشفقة في حياته التي لم تكن تعرف

الرحمة ان سر تأثير يسوع في نفوس الناس وانتصاره العظيم عليهم انما كان هذا مصدره . وهكذا فان الشخص مهما كان حقيراً وضعياً يتبدى يشعر ان الله قريب منه ولو في وضعيته الحقيرة وانه برحمته العظمى يشترك معه ويشفق عليه ويعتقد ان جميع البشر هم ابناء الله وبدرجة واحدة لديه متساوون بالحقوق امام الوهيته ويدرك انه في هذا العالم ليس العوبة في يد قوة مؤثرة مجهولة بل انه تحت ادارة وارادة اب شفوق محب للجميع وان جميع حادثات الحياة المتوالية انما تفيد وتخدم مبدأ الخير الحقيقي

وهكذا فان هذا الانسان تتغير وتبديل اراؤه في الحياة ونظراته اليها ويشعر باتخاذ علاقات جديدة مستندة الى اركان علوية وحقاً ان المسألة المهمة في الدين هي هذه المسألة : ان التعليم بان الله واضع قانون مطلق يجازي الخطاة والارشاد الى واسطة للنجاة من القصاص المرتب على الاعمال المخالفة لقانونه او تصوير الله بانه موجود قاهر متسلط

والاجتهاد بايجاد شفيع يسكن ' عنا غضب الوهيت
وينقلنا من عذاب جهنم الى سعادة الجنة . ان هذه كلها
ليست سوى امور تجعل الدين قشوراً فارغة من اللباب
اما الجهة الهامة في الدين فهي التأثير على افكار رجل سافل
امسى بعيداً جداً عن الانسانية ومهملًا لحاساته الاصلية
فاعادته الى حاله الشريف العالي وايقاظ العواطف
السامية الكامنة فيه وجعله اهلاً لان يكون ابناً حقيقياً
لله . اما هذا فلا يتم بالتهديد والتخويف بل بالمحبة وعاطفة
الاشترك مع الناس . وهذا ما كانت تصنعه حياة يسوع
وعنايته

تصوروا رجلاً سقط في البحر وجعل يتخبط
بين الامواج وبعض اشخاص واقفين في الساحل فان
هولاء لا بد لهم بازاء هذا الرجل من احدى ثلاث فاما
ان ينادوه وينبهوه بانه اذا جاء الى الساحل في المحلة الفلانية
فيمكنه ان ينجو واما ان يرموا له بجبل فيتمسك به
ويساعده في الوصول الى البر واما انهم كما يعمل الاب

لخلاص ابنه والصديق المحب لخلاص صديقه يلقون
 بانفسهم الى البحر وينقذونه من الامواج ويصعدون به الى
 ساحل السلامة

ومن المؤسف ان كثيراً من الانظمة الدينية موقفها
 امام الخلق موقف القسم الاول من المشار اليهم في هذا
 المثل فانها تكتفي بالوصايا ولا تبالي قطعاً بحالة ذلك
 المسكين الخطرة. وبعضها في الموضع الثاني من المثل فاصحابها
 يعلنون الوسائط التي يرونها مؤدية الى نجاة الفريق
 المسكين

ولكن ليس ولا واحد من هذه يفيدنا في الضيقات
 وتجارب الحياة الصعبة وفي جهادنا ضد الشهوات والغضب
 والحقد والطمع التي نمتلك عواطفنا ولا في امورنا
 ومعاملاتنا الشخصية غير الموقفة وعند اضاعتنا جميع ما
 نملك وسقوطنا في اليأس والفقر وفي الزمان الذي تكون
 حياتنا في التهلكة ونحن في اليأس
 اجل ان تلك الوصايا لا فائدة منها في هذه الاحوال

العصية بل الذي نحتاج اليه فيها هو ان نرى يداً قوية
شفقة رحمة يدها لاجل معاونتنا صديق يحبنا من كل
قلبه ونفسه فيحصل لنا الشعور الحي الاكيد بانه يوجد
روح عالية مستعدة للمفاداة بكل شيء لاجلنا ولمشاطرتنا
مصائبنا فنجد بذلك الرحمة والسلوان وتعود الينا قوانا لان
هذه وحدها تقدر ان تعطينا قوة . هذا هو مقام يسوع
في عالم الانسانية

وبهذه الوسيلة كان له النفوذ على قلوب الناس وبها
نقل الناس من دركة التعاسة الى القداسة وذلك لانه
كان للناس صديقاً حقيقياً قبل ان يكون اي شيء اخر
وبقدر ما كان يسوع معلماً حقيقياً للتعاليم الدينية
ومثالاً حياً كاملاً للاخلاق الصالحة فقد كان صديقاً وفاقياً
مستعداً كل في آن ان يحضن الناس ويضمهم الى قلبه
ويقبلهم في حظيرته فاحرز في تاريخ الدين ذلك المقام
الممتاز لانه وقف حياته على التحري عن الساقطين
والانحدار اليهم ليرفعهم الى الاعالي

لا شك ان احمر اشتياق داخلي واكبر احتياج
يعانيهما الانسان هما الى مصالحة روحية وانتظام مع الله
والناس في حياة سعيدة لان الانسان لا يقدر على العيش
في ظلال الراحة خارج النظام الروحي حتى ان المرء في
احواله الظاهرة وعلى رغم كل وسائله الفنية اذا لم تكن
له في نفسه هذه السكينة تكون حياته قلقاً مزعجة

ان التدبير هو عبارة عن هذا الصلح الروحي وعن
قيام الشخصية الانسانية وثبات توازنها . ان اعلى واشرف
معنى لحياة يسوع هو جعله الانسان قادراً قوياً في جهاده
الاخلاقي ضد شهواته ورذائله وضلاله وتمكينه اياه من
العيش في هذه الحياة الصعبة المتعبة بسرور وقناعة

في الواقع ان يسوع لم يظل محسوباً في درجة مفكر
ديني بل اعتبر منبع قوة للحياة . انه قدر على المحافظة على
التوازن في حياته رغماً عن العضلات والتجارب الجملة
التي عاناها . وكذلك جعل هذا ممكناً للذين تبعوه وحسبوا
من خاصته . في الحقيقة ان حياة يسوع اصبحت منبع قوة

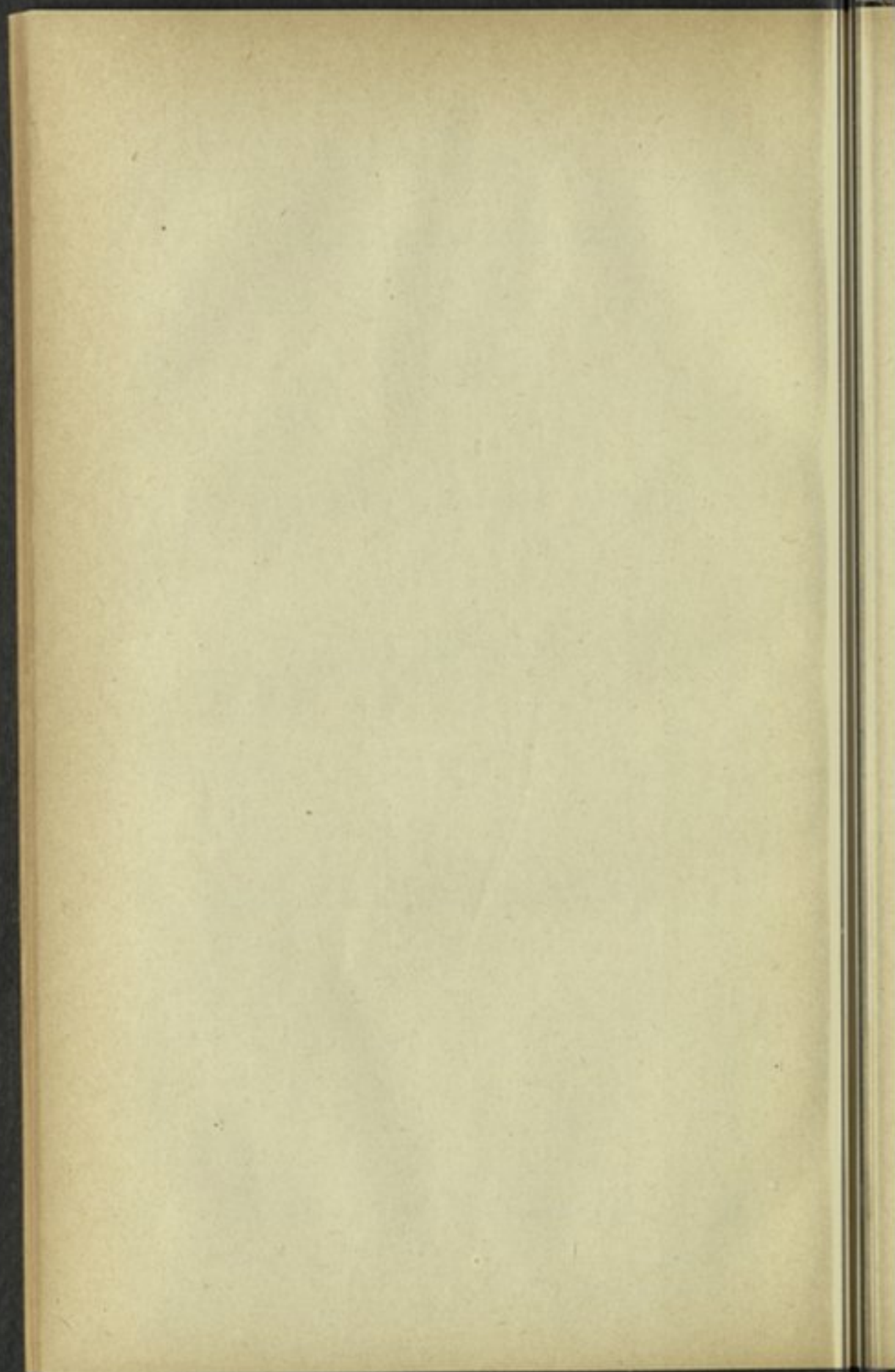
فائضاً ودائماً لحياتنا اليومية . انه صديق حميم لكل فرد
 مهما كانت طبقة وصنفه

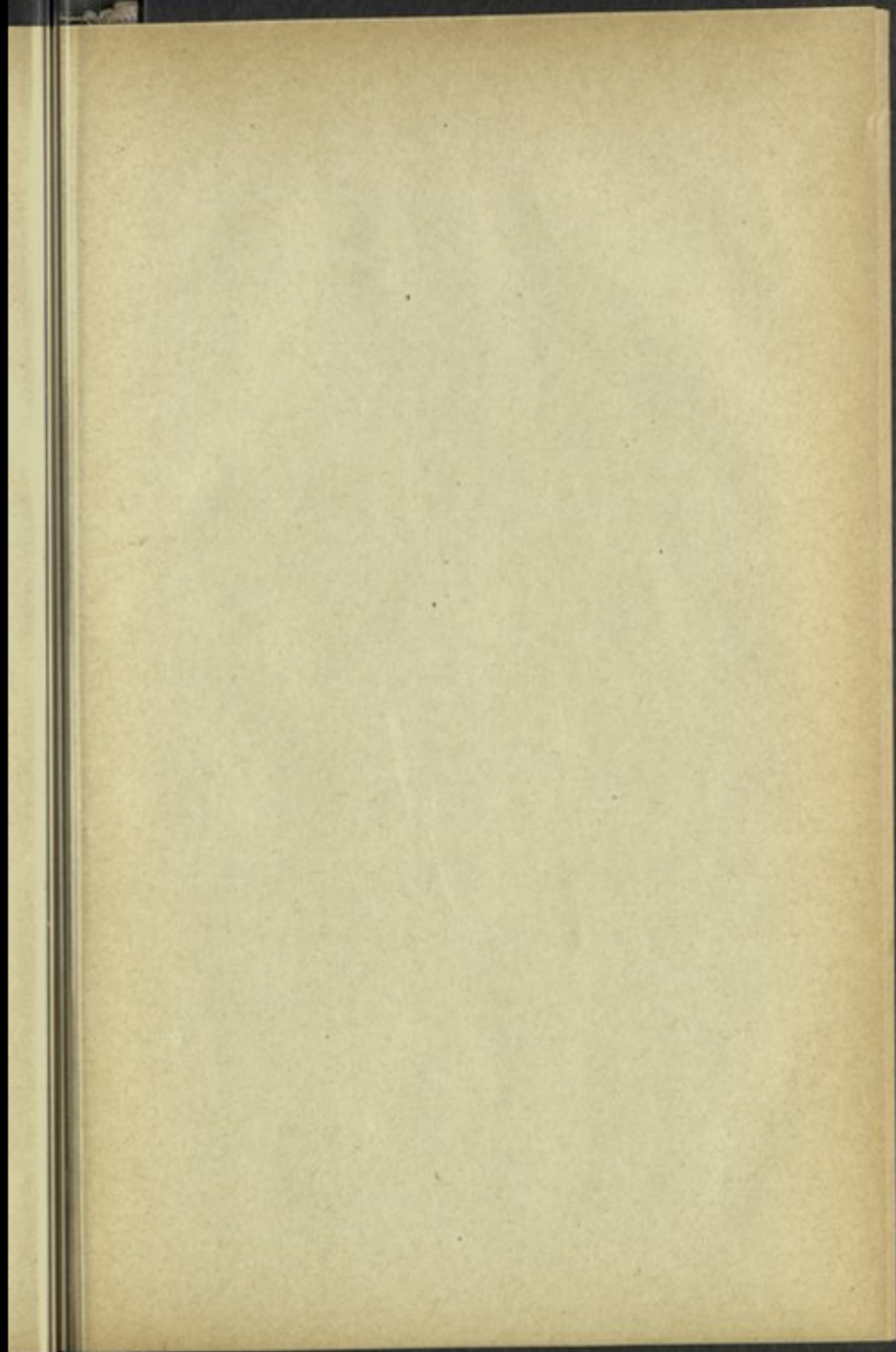
ان صداقته قوة كافية لمعالجة كل ضعيف الاخلاق .
 هو محب لكل في اي زمان ومكان . ومحبه مرساة حفظ
 وامان في انواء الحياة الهائجة بالدناءة والرداءة فالقلب
 البشري يجد هناك راحة ويحصل على اطمئنان وانتظام
 باطني وعندئذ يمكن للنفس ان تحافظ على التوازن الحقيقي
 في معارك الحياة - فهل يمكن ان يكون للجنس البشري
 اكبر من هذه السعادة واعظم من هذا السرور

24

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي جعل القرآن الكريم
موسمًا من مواسم الخير والبر
والتي هي خير ما يجمع بين
العبادة والخدمة والبر
والتي هي خير ما يجمع بين
العبادة والخدمة والبر
والتي هي خير ما يجمع بين
العبادة والخدمة والبر





مكتبة الاخلاقيات الدينية

الكتاب الثالث

اين هو السلطان الديني

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان



ترجم عن التركية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٩

18. 3. 18. 18. 18. 18.

18. 3. 18. 18. 18. 18.

18. 3. 18. 18. 18. 18.

18. 3. 18. 18. 18. 18.

18. 3. 18. 18. 18. 18.

18. 3. 18. 18. 18. 18.

مقدمة عامة

ان الحاجات المادية تشغل الناس في الامور الاقتصادية والاجتماعية فيعرض للافراد في حياتهم الذاتية وللمل في حياتها الاجتماعية كثير من المسائل المشككة . وهذه المسائل التي تبدو لنا فنظنها اقتصادية او ادارية محضة هي في الحقيقة مبنية على اساسات خلقية وروحية

انما حل هذه المسائل المشككة لا يتم الا في تجديد خلقي روحي ولكي يكون الناس اكثر سعادة واوفر افادة في حياتهم الذاتية والاجتماعية وجب عليهم ان يتبعوا من وجهة نظر جديدة هذه الاساسات الخلقية والروحية ويحققوا فيها لانها المسيطرة على امور الحياة

وغايتنا ان يحصل لنا الحظ والغبطة بان ندل على السبيل المؤدي الى اعلاء مستوى كل منا شخصيا وارتقاء بلادنا الى مستوى رفيع في الحياة متحررين الحقيقة من غير ما تحيز في هذه المواضيع الكثيرة الالهية وهذه المبادئ التي هي بناء حياتنا الذاتية والاجتماعية

اين هو السلطان الديني

ان من المباحث الدينية ايضاً مبحثاً اخر مهماً يجب
التدقيق فيه لعلاقته بنا وهو قضية السلطان الديني . فقبل
المباشرة بشرحها وتفسيرها يمكن ان نوضحها بالمثل الاتي :
لو ان شاباً دُعي الى الجندية لكان نراه يكتسي البزة
العسكرية ويودع عائلته واجباه . ويترك اشغاله ويخضع
بكليته الى امر وارادة رؤسائه . فنামته واقامته ومطعمه
ومشربه وكل امور حياته تسمي خارجة عن ارادته وتابعة
بصورة قاطعة لارادة واوامر من هم فوقه كذلك في
الحكومات المطلقة فان اهاليها يخضعون بدون قيد ولا
شرط للقوانين التي يصدرها الملك لانها فوق ارادة
الاهالي وواجب عليهم اطاعتها والحكومة لا تسأل عن
وضعها وهذه حال لازمة لثبات الحكم المطلق

فاذا كان خضوع الصغير للكبير شرطاً اصلياً في قيام الجندية ووجود قانون مطلق يمثل سلطة الحكم المطلق امراً لازماً لثبات الحكومة المطلقة

فهل كذلك يحتاج في الدين الى رئيس ذي سلطة ونفوذ كلمة والى دستور مطلق الاحكام يتضمن النظم للحياة ؟ ام لا يحتاج الى شيء من ذلك ؟ وهل يوجد ذلك ام لا يوجد ؟ وبكلمة اخرى هل وجد الدين لاجل تقييدنا بالسلطة الخارجية ؟ ام وجد لاجل تأييد حريتنا الشخصية ؟ هذا موضوع بحثنا الان

ان الناس منذ نشأتهم كانوا في جميع صفحات حياتهم وادوارها متأثرين بمؤثرات خارجية

ان تاريخ المدنية يروي لنا ان الناس ما زالوا منذ كانوا عشائر خاضعين لآمر عام ضمن ادارة مستقلة مطلقة حتى في الاديار والمكاتب قد اتبع الناس النظام الاستبدادي المطلق ومن ذلك نشأ في نفوس الرهبان والمعلمين الميل الى الحكم المطلق وساد التحكم حتى في اقدس دوائر

الحياة البشرية التي هي الحياة العائلية . وقامت على ذلك
 الانظمة المسطرة الرجل على المرأة والاب على عائلته . ومما
 يوجب الاستغراب ان ذات المحكومين بهذا النظام المطلق
 قد رسخت في نفوسهم محبة هذا النظام على مر الزمان
 كما رسخت في نفوس الفريق الحاكم وقد بات الكثيرون
 يعتقدون ان تعديل او تبديل هذه النظم يؤدي الى
 خراب المجتمع البشري . ولا يستثنى من هذه الحال احوال
 البشر الدينية فانهم بصورة مختلفة يعيشون ضمن ادارة
 وسيطرة السلطة الخارجية المطلقة التي يحسبونها نعمة كبرى
 اعتقاداً منهم بصدورها عن قوة خفية قاهرة . ويعتدون
 اطاعتهم العمياء لاحكامها واوامرها سعادة عظمى

وعلى هذا الاساس شيدت الاعتقادات الدينية .
 بالله . والانبياء . والكتب المنزلة وتنظمت طغيات
 الكهنوت ومراتب الرهبان وسار كل الناس في الوجيهات
 الاخرى من وجهات الحياة . وكثيراً ما اعتبروا ابسط
 سؤال عن هذا السلطان امراً ممنوعاً مستوجباً العقاب

ولكن التاريخ يدلنا على ان الفكر البشري كلما ارتقى وتقدم نحو الكمال يقرب الناس من الحرية الشخصية التي هي هدفهم الاقدس ويجعلهم يجاهدون في كل محيط للتخلص من سيطرة هذا التسلط وتحكمه فيهم . وفي الواقع ان تاريخ المدنية قد سجل جهوداً وجهادات كثيرة بذلت في سبيل الحرية الشخصية وتوصلت تدريجاً الى الفوز بالخلاص من هذا التحكم وليست هذه النهضة الصادرة عن الابحاث العلمية وعن التعمق في العلوم والفنون التي احدثت في العصور الاخيرة انقلابات كبيرة واسعة في عالم الافكار - ليس هذا كله سوى احتجاج على اتباع السلطان الخارجي المطلق وخلع نيره . فمنذ ذلك الزمن ما زال يحدث كثير من الابحاث والتحريرات العلمية المرتكزة على اساس حرية الفكر والمطالعة وقد حصل منها فوائد عظيمة وترقيات سامية للبشرية . واما اليوم فالحرية الشخصية ورفض التسلط والاستبداد ليسا منحصرين في دائرة العلوم والفنون فحسب بل انها شملاً

القضايا الاجتماعية والسياسية وجميع صفحات الحياة
واطوارها حتى انه لا يستثنى من ذلك الحياة الدينية لان
هذه قد حصل لها قسم مهم من ذلك

ان الشخصية الانسانية هي بلا شك واحدة فالانسان
الواحد لا يمكنه ان يعيش في بعض حياته حراً طليقاً وفي
البعض الاخر اسيراً مقيداً . فكما انه يسأل بحرية وجرة
عما يعتوره من الشكوك في احدى جهات الحياة . بكيف
ولماذا . فانه هكذا بنفس الحرية والجرأة يسأل عن الجهة
الاخرى التي يعنّ له السوال عنها ومن ينكر ان كثيراً
من الحقائق العلمية والقواعد الاجتماعية المعروفة كانت
فيما مضى بقوة ذلك التسلط الخارجي غير ما هي عليه الان
فبعد ان كانت بنظر الاقدمين ضلالة اصبحت اليوم
حقيقة وكذلك ان كثيراً مما نراه اليوم وهماً وغلطاً كانوا
يروونه يقيناً وصواباً . والفضل باظهار الحقيقة هو لتلك
الحربة التي بها حصل التدقيق والتحري

وهكذا هو الامر من جهة العقائد الدينية التي كان

الناس يعتقدون انها حقيقة راهنة مطلقة فان المفكرين
والمحققين قد باتوا يتساءلون عن جميع ما يعرض لافكارهم
من الشكوك ويدرسون وجوها طلباً للحقيقة . فاضطرب
من ذلك اصحاب السلطان الديني وخافوا على الدين وقاموا
يدافعون بقوة عن معتقدتهم وسلطتهم ويعلنون ان ابسط
سؤال عن العقيدة يعتبر هرطقة وكفراً

فكان من طبيعة هذا التضييق ان الساعين للحرية
والتخلص من السلطان الخارجي المطلق قد تجرأوا بسبب
هياج اعصابهم على اعتبار الدين هذياناً والشك به يقيناً .
اجل ان هذه القضية قد اکتسبت في زماننا اهمية كما في
عالم الدين كذلك في عوالم الحياة الاجتماعية فبات الناس
من جراء ذلك بين حالتين لا بد لهم من اتباع احدهما فاما
ان يدعوا ويعتقدوا ان في الدين تأثيراً خارجياً وان
الدين قائم بهذا السلطان المطلق او انهم كما هو في صفحات
الحياة الاخرى ينكرون تاثير الدين الخارجي ويدعون
بطلان الدين وهكذا فان اصحاب الافكار المترددة بهذه

المسألة التي لها من كل جهة علاقة في حياتنا يرون انفسهم
مجبورين على اختيار احدى الجهتين واتباعها فاما السلطان
الديني الخارجي واما انكاره والتزام الكفر

ها المسألة تدور حوالي هذه النظرية فكيف يمكننا
حل هذه المعضلة وما الموقف الرشيد الواجب علينا وقوفه
امام الدين ؟ . ان الواسطة في كل امر نتعين بالنظر الى
المقصد منه فلواردنا مثلاً تعليم احدى خاصية الماء وتركيبه
الكيمائي فكما اننا نعطي تعليمات عن الماء كذلك نوصيه
بمطالعة دروس الطب والكيمياء في الكتب الخاصة
فتحصل له عن الماء معلومات كافية . ولكن الرجل الذي
يريد ان يتعلم السباحة فالكتب الكثيرة المتضمنة نظريات
علم السباحة لا فائدة عملية له من مطالعتها . بل الطريقة
الوحيدة لتعليم السباحة هي تمرينه عليها بدخوله الماء
والتمرين يعينه على العوم حسناً لان السباحة لا تكون
بمعرفة خواص الماء بل بمعرفة العوم على وجه الماء فلا يوجد
طريقة لتعليم السباحة غير التجارب الشخصية

وهكذا مسألة الدين فانها تضارع هذه المسألة
 بناءً عليه كان اهم البحث عما اذا كان في الدين تسلط
 خارجي ام ليس . وفيه تحديد هذا من وجهة التدين مسألة
 تعيين وتوضيح ما نغنيه بكلمتي « دين وتدين » وما هو
 قصدنا وهدفنا من ذلك . فاذا حسبنا ان الدين عبارة عن
 مراسم وطقوس خارجية . او عن مجموعة اسرار . او منظومة
 اعتقادية وفهنا ان التدين هو عبارة عن ممارسة تلك الطقوس
 والمراسم الخارجية حرفياً وتلقيح الافكار بوجه خاص بروح
 الاسرار الجاذبة وحفظ المنظومة الاعتقادية جملة جملة نجد
 ان النتيجة المنطقية لذلك هي انه يلزم طبعاً وجود الاحكام
 العمومية لتعيين تلك المراسم والطقوس نقطة فنقطة
 واحداث سلك كهنوتي لاجراء تلك الاسرار وقوانين
 ايمان لاجل تثبيت نظام المعتقد وكان من الطبيعي ايضاً ان
 يكتسب هؤلاء من ذلك قوة وسلطة قاطعة . وعندئذ
 يصبح لازماً وجود السلطان المطلق طالما ان عموم
 التنظيمات الدينية تبني على هذه الافكار ولاجل تلك الغاية

واما ان لم يكن المذهب في الدين مبنياً على هذه
 الاساسات بل كان مؤسساً على الله وعلى حياتنا مع الناس
 وعلى الاستقامة في اطوار الحياة وعلى كون الغاية في الدين
 هي حصول الانسان مع خالقه ومع ابنا جنسه ومع قلبه
 وروحه في انتظام تام وصلاح حقيقي فمسالة السلطان
 الخارجي في الدين تتخذ وجهة اخرى . وفي الحقيقة
 لو اننا استعضنا عن نفوسنا بالله وعن كبريائنا بخدمة
 الاخرين وعن العداوة لهم بالمحبة يعني لو اننا فهمنا الحياة
 بمعنى اخر واتخذت روح الانسان في الحياة موقفاً جديداً
 لكان التأثير الديني الخارجي ليس فقط غير لازم بل مضرّاً
 ايضاً . لان الدين في هذا المعنى لا يكون جزءاً من المعلومات
 الدينية بل يكون وجهة نظر جديدة للانسان في حياته
 وموقفاً قوياً للمرء في اموره وهذا مما لا يحتاج الى سلطان
 خارجي ولا يستفيد منه . لان هذه الحالة ليست سوى
 تجربة شخصية وتجربة روحية ذاتية ولذلك كان بالامكان
 ان يراها المرء ويفهمها من ذاته ويتبدل بها روحاً وقلباً .

لان الحقيقة يجب ان تؤثر في الروح وان يرى المرء
 حياته بنور جديد و يتخذ لنفسه من الحياة خطة جديدة
 فالواسطة الحقيقية الوحيدة للتدين الصحيح هي هذا البصر
 الداخلي والادراك والتجربة الشخصية . ان الانسان
 يمكنه دون ان يتاثر روحياً ان يعتقد باعقادات ناشئة مع
 الزمان عن التعامل ولكن عندئذ لا يكون متديناً بل
 متعصباً وما التعصب الا نوع من الاسر حالة ان المعنى
 الحقيقي للدين هو ارتقاء الانسان رقياً متناسباً مع شرف
 الانسانية وتجدد الروح الانساني بحيث يصبح المرء حراً
 بكل معنى كلمة الحرية وهذه الحالة الشريفة الفاخرة
 لا تتزج مع التعصب . بناء عليه فمن فهم الدين بالصورة
 الانفة الذكر مظهرآ تسلطاً خارجياً طالباً من الناس اتباعه
 اتباعاً مطلقاً فقد منع الناس من التكامل الشخصي لانه يضع
 تحت الاكراه والاسر تلك الشخصية الانسانية التي يريد
 الدين بها الكمال والتكامل لان هذه الشخصية الانسانية
 في اي خصوص كان لا تكامل الا بحرية الفكر والقلب

والروح . والدين لا يمكنه ان يلتزم الا هذه الطريقة . ان
 اصول السلطة الخارجية يمكنها ان تجعل الانسان صايف
 القلب بسيطاً ولا يمكنها ان تجعله مومنًا حقيقياً لان الايمان
 يكون بالاعتقاد الشخصي

فمن هذه الجهة يمكن تشبيه الدين بالفنون الجميلة
 حيث اناس كثيرون يرون صورة من صنع رسام مشهور
 كرفائيل مثلاً او يسمعون قطعة موسيقى لاعظم ملحن
 فيمتدحون جداً مما رأوا او سمعوا ولكن هذا الامتداح
 لم يكن منبعثاً عن تأثير الفن في نفوسهم وحصول ذوق
 فيهم للبراعة . بل لانهم كانوا يسمعون من غيرهم هذا
 المدح فأخذوا بشهرة الواضع وليس بجمال الفن فتظاهروا
 بالمدح . هذه الحال واردة تماماً في الدين حتى ان كثيرين
 يدخلون في المباحث الدينية الحارة المهيجة ويتعصبون
 للدين ولكن ليس لانهم فهموا الدين بمعناه الحقيقي ولا لان
 انتظام الحياة مسيطر في قلوبهم ولا لان نفوسهم مملوءة
 بحب السلام الحقيقي . بل لانهم هكذا سمعوا وقلقوا

وهذا بالحقيقة ليس ديناً ولا تديناً . فان التغلب في اقناع
الناس بتفضيل رسوم روافيل على غيرها يجب ان يحصل
بحملهم على رؤية الاشياء وتفهمهم حقيقتها وبتذوقهم جمال
الفن البديع حتى تكون لهم قوة ادراك جمال الصورة
الحسنى، والشعور الموسيقي فيقدرون عند ذلك على التفضيل
والترجيح وهذا بتمامه ليس الا تجربة ذاتية وذوقاً باطنياً
فلا يمكن ادخاله الى صور الآخرين بالاخبار وان قبلوه
بهذه الحالة فذلك منهم تظاهر بغير الحقيقة

هكذا في الدين . فانه لا يمكننا ان نكره الناس على
اعتناقه بالقوة ونفوذ السلطان الخارجي واذا اكرهناهم
فالنتيجة تكون منهم رياءً ومنا تعصباً . ان الدين هو تمرن
شخصي . ومسألة روحية ولا يصل اليه الناس الا من
طريق الاعتياد الذاتي والادراك الباطني

وفي هذا دون سواء يكون الدين الحقيقي والتدين

الصحيح

والدين في هذا يستند الى قوة الادراك والبصيرة

الفطريتين في الانسان لانه يملك من طبعه استعداداً داخلياً
لفهم الحقيقة وادراكها

بناء عليه فان وضع الانسان تحت تسلط وتمحكم
التاثير الخارجي ولو في اي موضوع كان . يفيد عدم
الاعتماد على هذا الاستعداد الاصلي والاصيل الذي هو اغنى
كنوز الانسانية واغوى وسائط تكاملها . لذلك وجب
ان نعتمد على خاصة عقلية الانسان ونقدم له الحقائق .
او ليس المقصد من التعليم والترية اعداد الناس الى ادراك
الحقيقة ؟

فلو ان استاذاً نافذ الكلمة في احد المكاتب اخذ في
تعليم الطلبة يقول لهم « هذا الذي قلته لكم حقيقي لاني
انا اعرف وانا اقول فيجب ان تحفظوه وان تصدقوه » بدون
ان يعود الطلبة على فهم الحقائق بالتحري عنها بذاتهم .
فهذا الاستاذ لا يقدم لنا شبيبة ذكية بل يباغوات تحفظ
ما لا تفهم . ويكثر عندئذ الضعيفو الادراك ويقل
اصحاب الادمغة الكبيرة التي تكشف الحقائق وتتحري

عنها وتعدم ذلك الذكاء الكاشف ما وراء الستور . هكذا
 هي الحال ايضاً في الدين . فالروح الانساني يملك الاقتدار
 على فهم الحق والحقيقة . والدين كان لاجل التامين على
 الانسانية الحققة ولاجل ايصال الانسان الى الحياة العالية
 ولا يكون الدين باجبار الناس على حفظه وتعلمه بالقوة
 والضغط الخارجي لان هذه الاصول لا تخرج لنا سوى
 المتعصبين الاغبياء مع ان الدين يصل الى هدفه في قلوب
 الناس بمخاطبته النفوس والضمائر مع بقاء حرية ارادة
 الانسان الذي لا يكون متديناً بالرغم منه

فلو نظرنا الى الدين من هذه الجهة لتغير رايانا في
 موقع الكتب الملهمة والانبياء والرسل . وعندها نقرأ
 الكتب الملهمة ونتبع اوامرنا ونواهيها بدون شك ولا
 سؤال وذلك لا لانها احكام مطلقة اجبارية علينا بل
 لانها نور روحاني استنارت به قلوبنا وحاساتنا العليا

ويصبح موقع الانبياء والرسل في نفوسنا ليس موقع
 قوم متكبرين آمرين متسلطين متطلبين منا الطاعة العمياء

بل موقع اصدقاء ورفقة . حائزين على الاهلية الكاملة
 ليكونوا لنا هداة لانهم كانوا مثلنا في الحياة . ورغماً مما
 ابتلوا به من التجارب وما عرض لهم من المصائب فقد
 حفظوا في كل ذلك نفوسهم قديسين وبررة فاستحقوا
 ان يكونوا لنا مرشدين . وهذا الاعتقاد ليس فيه حطة
 من قدر الكتب المهمة والرسل والانبياء بل بالعكس
 يرفعهم عندنا الى درجة عالية ولكنها متناسبة مع الشخصية
 الانسانية ويكون لهم في حياتنا الروحية اعلى مقام
 اما اذا اتخذنا الكتب المنزلة دستوراً نافذاً في
 حياتنا ولم نطبق في معاملتنا روح هذا الدستور بل
 حرفيته فينتج من ذلك اننا بالنسبة لاخلاقنا واطوارنا نجرد
 انفسنا عن المسؤولية ونحملها الى الكتب المذكورة فنرى
 ما ليس بجائز جائزاً ويطمئن وجداننا بان حرفية الكتاب
 تجيزه ولئن كان ذلك يريح الفكر مؤقتاً غير انه بالحقيقة
 يولد صداماً للروح وصغراً في الشخصية لان التدين الذي
 هو عبارة عن التكامل لا يتم الا بالشعور بالمسؤولية

الشخصية الناشئة عن حر كاتنا واطوارنا . ومن وجهة النظر
 هذه يتبدل كل التبدل ظننا بالله
 فعوضاً من اعتقادنا بان الله هو مستبد قاهر نعتقد
 انه الاب القوي الشفوق المحب الخير لجميع المخلوقات ولذلك
 تكون طاعتنا لامره واحترامنا له ليسا خوفاً من غضبه
 ومجازاته بل لرغبتنا بالحصول على السعادة الحقيقية والسلام
 الرابط شخصيتنا الانسانية بالله والدخول معه في الانتظام
 ولاقتناعنا ببلوغ الكمال بواسطته اقتناعاً صحيحاً صادراً
 من القلب والروح . ان الانسان مشابه لله الذي خلقه على
 صورته ومثاله . ولذلك كان الله يخاطبنا بطريق الاقتناع
 وليس بالامر الميكانيكية مثل الجمادات فوقفه تلقائياً ليس
 موقف الامر المجبر الذي لا يسأل ولا يشفق بل موقف
 الاب الحنون المحب . فهو يريد منا المحبة القلبية عوضاً
 عن العبودية والصدقة عوضاً عن الطاعة العمياء فمن تعبد
 لله بهذه العقيدة وارتبط معه بعلاقات الاخلاص هذه
 يكن متديناً وذلك يعلي منزلة الحياة الروحية ويكمل الحرية

الشخصية دون اخلال بالشخصية الانسانية . ففي علاقاتنا
 مع الله يجب اكثر من كل شيء الاخلاص والوفاء لان
 اول شرط في الصداقة الحقيقية هو الاخلاص القلبي .
 والله لا يطلب منا شيئاً غير هذا فتسلط الله على حياتنا
 الدينية ليس تسلط الجبار المستبد بل التسلط الحبي القلبي
 ولا يمكن ان تنكشف وتظهر الحياة الدينية بصورة
 اوضح من هذا ؟ ولاجله كانت حياة يسوع باعتباره
 معلماً دينياً تستحق من كل الوجوه ان نتخذها مثلاً لنا
 وندقق فيها

ان الكتب الملهمة التي كانت في ذلك الزمان هي
 التوراة والمزامير وناموس موسى وكان بين يسوع وبين
 علماء اليهود فرق كبير في ادراكها وفهمها . اما هم فكانوا
 بكل دقة يقرأون الناموس ويحفظونه حرفياً ويعتنون
 كل العناية بتفسير كل كلمة وكل حرف منه ولكنهم ما كانوا
 يدركون روحه ومعناه الباطني بل كانوا بكل تعصب
 يطبقون اوامره ونواهيته نقطة فنقطة واما المدلول الحقيقي

لكلامه فما احاطوا به علماً . كانوا يقيمون مراسمه وطقوسه
الدينية ولكنهم ما كانوا يهتمون بمعانيها الروحية ولا بمراميتها
المقدسة ولهذا كانوا بالظاهر متعصبين ومتدينين ولكن
من الداخل كانوا قذرين ومتعجرفين . بالظاهر خدمة
الله وفي الداخل عبدة شهواتهم . يؤدون الاشارة الشرعية
ولكنهم في اخلاقهم كانوا طماعين وعباد مال وكانوا
يعتقدون ان الناموس الالهي واسطة لتسلطهم طيلة عمرهم
وفي كل اعمالهم وكانوا لذلك يطبقونه حرفياً على اعمالهم
ويكتفون بذلك من ايفاء واجبههم الديني واغثروا كل
الاغترار بهذا التدين الذي جعلهم مرأئين متظاهرين بما
ليس في قلوبهم

وهكذا كانوا جداً متعصبين واميرى تعصبهم
وافكارهم ولم يبق في حياتهم رائحة للاخلاص والوفاء
وبعدوا جداً عن معنى التدين الحقيقي . فتلقاء كل
هذا كان يسوع يطالع ايضاً بكل احترام ناموس موسى
ولكنه كان يفهمه من وجهة مخالفة تماماً لما يفهمه العلماء

المذكورون . انه لم يكن يهتم بحرفية التوراة وكلماتها بل
بمعانيها ومقاصدها الحقيقية وكان يطيع روح الاوامر
واحكامها وليس مقتضى الفاظها وتراكيبها واما المراسم
والطقوس فكان يعلق اهمية على اساساتها الروحية وليس
على طريقة اقامتها وصورها

فبينما كان العلماء يشتغلون بتفسير الشريعة من ان
السن بالسن والعين بالعين فمن كسر سناً يكسرون سنه
ومن قلع عيناً يقلعون عينه ومن ليس له من او عين يطبقون
فيه حرفية الناموس فكانوا يشغلهم هذا ومباحثاتهم في شأنه
يهملون حقيقة الدين . فبينما كانوا مهتمين بكل ذلك
غافلين عن الدين كان يسوع يعلم الناس ويشرح لهم ان
المعنى الحقيقي لهذه الاوامر والنواهي هو وضع حد
لانتقام الناس من بعضهم البعض وان امكن فرفع الانتقام
تماماً من بين الناس

كان علماء اليهود يقولون بحرفية الناموس القائل
لا تقتل و يعلنون ان القتل غير جائز ولكن على رغم هذا

التعليم فانهم كانوا حقودين على ابناء جنسهم ومبغضين
 لهم فلذلك لم يكن بالامكان التوفيق بين حكم الناموس
 وبين ما في قلوبهم

اما يسوع فانه كان ايضاً يفهم هذه الاوامر والاحكام
 بكل معناها الحقيقي ولكنه مع ذلك كان يعلم ليس بمنع
 القتل فحسب بل بعدم جواز التفوه بكلمة ردية ضد
 الاخرين وبان الحقد والتغرض والعداوة هي ايضاً غير
 جائزة وممنوعة كل المنع . لذلك كان اليهود اتباعاً لاحكام
 التوراة لا يحلفون باسم الله . ولكنهم كانوا لا يرون
 بأساً من الحلف بحق السماء وبحق الارض وبحق رؤوسهم
 وهكذا كانوا في جميع معاملاتهم يحلفون ايماناً كاذبة
 ولكنهم لم يكونوا يعتقدون ان ذلك خطيئة لانهم ظنوا
 انهم لم يتعرضوا لمخالفة الناموس بحلفهم باسم الله
 اما يسوع فكان يعلم قائلاً انه لا يجوز لكم ان
 تحلفوا ابداً لا بالله ولا بالسماء ولا بالارض ولا برووسكم
 بل فليكن كلامكم نعم نعم ولا لا

هم كانوا حسب الناموس يصومون ويصلون ويعطون
 زكاة ولكن ذلك منهم عن كبرياء وغرور ورياء . اما
 يسوع فكان يعلم انه على من صام ان يغسل وجهه لئلا
 يظهر للناس صائماً وعلى من يصلي ان يغلق بابه ويصلي في
 الخفاء والله الذي يسمع ويرى يجازيه علانية وان على من
 يعطي زكاة او صدقة ان لا يدع يسراه تعرف ما عملت يميناه
 والحاصل انه بينما كان علماء اليهود يحرصون على تنفيذ احكام
 الناموس والكتاب حرفياً وكلمة فكلمة متعصبين لهذا
 الراي . كان المسيح يسوع بن مريم لا يعمل الا بالمعنى الحقيقي
 والمدلول الصحيح الباطني لمقاصد الكتاب والناموس
 وكلماتهما . فلم تكن التوراة في مذهبه مجموعة اوامر ونواهي
 خارجية لازمة الاتباع بل كانت دليلاً روحياً حقيقياً
 لمن يفهم قلباً وروحاً مقاصدها ومراميها ويتبعها من كل
 قلبه ونفسه

ومن الفوارق الاكثر ظهوراً بين يسوع والعلماء
 اليهود الفرق في اصول تعليم الدين . اما هم فلانهم كانوا

يظنون انهم بوقوفهم على دقائق الشريعة وشواردها
وغوامضها قد وصلوا لاهل درجات التدين كانوا يقولون
للناس في تعليمهم اصول الدين « ان مسائل الدين شيء
لا يمكن عقولكم ان تفهمه . انتم لا تقدرُونَ على ادراك
اسرارهِ وعلى الاحاطة بمعانيهِ . ان الدين مما لا نكاد نحن
نفهمهُ بناءً عليه عليكم ان تصغوا الى قولنا وتطيعونا »
وبمثل هذا كانوا يطلبون من الناس مطاوعتهم والخضوع
لاقوالهم

اما يسوع فلم يكن يخطر له في بال شيء من هذا
التعليم . كان يخاطب ضمائر الناس ونفوسهم ويرغب
ان يعتقدوا ويفكروا بدون تميز ولا تعصب وبدون رياء
بل بكل اخلاص وحكمة ومما يحلو ذكره عنه انه ما كان
يريد ان يقول للناس متحكما او مدعياً « انا نبي . انا
رسول . انا المسيح المنتظر فاقبلوا كلامي » بل اعلن نفسه
للناس معلماً الحقائق بكل بساطة وبكل اخلاص وبوجدان
صافي . كان يرغب اليهم ان يدرسوا الامور . ولم يكن

يستعمل البلاغة والفصاحة لجلب الناس اليه لانه كان يعلم ان البلاغة وان قدرت على جذب الناس اليه الا انها لا تبدل من حياتهم ولا تغير من اخلاقهم فكان بكلمات بسيطة ولكنها مملوءة بروح الحقيقة يخاطب نفوس الناس ويكلمهم

ان يسوع مع انه كان في مقدوره ان يصنع المعجزات ويخرق النظام الطبيعي سواء في اظهاره علامات من السماء او على الارض لم يختار هذه الطريق بل استنكف عن سلوكها عندما سألوه آية لكي يعتقدوا به . ان معجزة واحدة كانت تكفي لتركهم محتارين . ولكن ذلك لم يكن ليعث في البشرية روح الخير وفكر الرحمة . يسوع لم يأت ليجمع حواليه امة كبيرة عن طريق العجائب والمعجزات بل جاء ليبدل من افكار الناس الشريرة بافكار صالحة ويمنح الحياة والرحمة والشفقة . لذلك رأى ان الوسطة المفيدة لذلك هي مخاطبة ضمائرهم وقلوبهم

اما ما اجراه من العجائب والمعجزات فكان منه شفقة
وحناناً على من شفاهم واقامهم ولكي يملأ قلوبهم في
معاملاتهم مع بعضهم رحمة وحباً . واما هو فلم يكن
مويداً ولا محباً للظهور والسلطان والنفوذ . ولا حصل
مثالاً لشيء من ذلك

ان يسوع كان يعلم عن ملكوت الله ويبشر به معلناً
انه انما جاء لاجل ذلك . ولم يكن يقصد من هذا اعطاء
الناس قوانين وانظمة جديدة مكلفاً اياهم باتباع احكامها
فيكافأون بالحياة العتيدة في عالم النعيم حيث يعيشون
بالسرور والفرح بعيدين عن الغم والكدر والقلق انما كان
يوصي الخلق بان يعيشوا مؤمنين بالله معتقدين بانهم
اخوة لاب واحد مجتمعين تحت سقف الهي واحد في هذا
العالم الذي هو بيت الله . فملكوت الله يعني ايضاً هذه الدنيا
القديمة ولكن بشرط قبول الاعتقادات الجديدة بشأن
الحياة . ويعني ايضاً لزوم التعامل مع جيراننا القداماء
ولكن ليس بالكره والبغض المتاصلين في نفوسنا بل

بالاخلاص والمحبة والاخوة الجديدة في ضمائرنا . يعني
 ايضاً امكان التزاحم في هذه الحياة والجهاد ومعاناة حل
 المشاكل والمعضلات في هذه الحياة مغتنمين من ذلك
 فرصة لكي نتغلب على المصائب بقوة الارادة وحسن الاخلاق
 عوضاً من استسلامنا للياس والقنوط والهوان - والحاصل ان
 الانسان مع محافظته على علاقته السابقة مع محيطه يجب
 ان يعيش كأنه انسان جديد . وهذا الهدف السامي
 لم يكن يسوع يدفع الناس اليه بالجبر والشدة او بالتهديد
 والوعيد بغضب الاله ولا كان يجذبهم نحوه بقوة البلاغة
 وسحر البيان ولا بشيء من التسلط والنفوذ الخارجي
 كان يدعو الناس الى هذا الهدف المقدس . وهذا ما دل
 على حبه البشر حباً جماً حتى جعل نفسه فداء عنهم وظهر
 لهم طريق حياة جديدة وجلبهم الى خاصته بالمحبة والشفقة
 فهذا هو اقتدار يسوع وهذه هي وسائطه وسلطانه
 ونفوذه

فسلطانه ليس سلطان قدرة عجيبة خارقة العادة

والطبيعة مستبدة بل سلطان صديق علوي مخلص وفي صافي النفس والقلب . لم يكن جائراً مستبدّاً بل سلطاناً محباً حباً قلبياً روحياً شفيقاً . فمن ذلك حاز يسوع اعلى موقع في تعليم الدين - ان يسوع حير العقول واقنع الضمائر بتعاليمه وباحترازه عن الاكراه مع كونه مالكا للقوة والسلطة اللازمتين لذلك وباستنكافه القطعي عن استعمال التسلط والتحكم مع كونه له السلطة والتاثير التامان . انه مع كل ذلك كان في جميع الاحوال وتحت كل الشروط بوجه كلامه وخطبه ومواعظه الى قلوب الناس وضمائرهم ولكن بكل حنو وحب فاصبح مثلاً اعلى مالكا قلوب الخلق وعقولهم

فهنا وفي هذه التعاليم كان سلطان يسوع ونفوذه في تاريخ الدين وهل من سلطان او نفوذ اقوى من هذا وابقى واقطع حكماً

ان البيان الساحر وقوة البلاغة والافهام قد تعجز يوماً امام اكثر منها سحراً وبلاغة وافهاماً . ان نفوذ

الاحكام ومقدرة القوانين والاعتقادات قد تبدل مع
الزمان باكمل منها . ان المعجزات والعجائب ذاتها قد ياتي
يوم ان يحصل ما هو اعظم منها

ولكن سلطان الحقيقة والصلاح ونفوذ المحبة والشفقة
يبقى سرمداً فلا يقل ولا يطل ولا يعطل باحسن منه .
ومن اجل ذلك لم يكن في الدين ولن يكون سلطان او
نفوذ اقوى من ذلك

اذا كان القصد من الدين وهدفه تعزية الخزانى
واقالة عثرات الساقطين وتشجيعهم واعادة امل الحياة الى
صدور اليائسين وراحة المثقلين باعباء الحياة وتخليص
اسارى الفساد والشر واطلاقهم احراراً في حقل الصلاح
وجعل الظالم عادلاً وآكل مال اليتيم وافيّاً وهاضم
الحق معيداً والمستهبة قلوبهم بغضاً وحقداً وعدواناً محبين
حليمين . وبكلمة واحدة اذا كان هدف الدين جعل
الانسان انساناً حقيقياً والعالم عالماً جديداً فلا يمكن في

الاديان ان يقوم سلطان غير سلطان المحبة والحلم والحقيقة
والاخلاص

فالموقف الصحيح في هذه الوجة النظرية لا يحصل
ولا يكون باعتبارنا الدين منظومة عقائد نكره على اتباع
وامرها واحكامها اتباعاً اعمى . ولا يكون هذا الموقف
ايضاً بمقاومتنا ومخاصمتنا الدين ظناً انه عبارة عن سيطرة
خارجية كانت لجزرنا والتحكم بنا بل ان هذا الموقف
القويم الصحيح يتم ويحصل باعتمادنا من كل قلبنا ان
الدين هو الحالة الحقيقية في هذه الحياة البشرية وان
ما يقدمه لها من الاساسات يجب ان نقبله مدققين به
بخلوص نية وطهارة وجدان . لا شك ولا شبهة ان الميزة
الاولى للناس عن سواهم هي محبتهم الحقيقة

ان اشرف واسمى معنى لكلمة التدين هو ايضاً المحبة
للحقيقة واقتبالها واعتباراً لهذا نقول انه ليس التدين شيئاً
ينافي الشرف الانساني ولا يعاكس الشخصية الانسانية
وليس فيه ما يخالف ذلك

وهذا هو الكمال الانساني . لذلك وجب على كل
 انسان ان يكون متديناً لانه من مقتضيات الانسانية

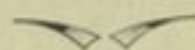


مكتبة الاخلاقيات الدينية

الكتاب الرابع

ما هي علاقة الدين بالمسائل الاجتماعية

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان



ترجم عن التركية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٩

Handwritten text in Arabic script, likely a title or heading.

Handwritten text in Arabic script, possibly a date or a reference.

Handwritten text in Arabic script, possibly a main title or a significant heading.

Handwritten text in Arabic script, possibly a subtitle or a descriptive line.

Handwritten text in Arabic script, possibly a line of poetry or a descriptive phrase.

Handwritten text in Arabic script, possibly a signature or a concluding line.

مقدمة عامة

ان الحاجات المادية تشغل الناس في الامور الاقتصادية والاجتماعية فيعرض للافراد في حياتهم الذاتية وللملل في حياتها الاجتماعية كثير من المسائل المشككة . وهذه المسائل التي تبدو لنا فنظنها اقتصادية او ادارية محضة هي في الحقيقة مبنية على اساسات خلقية وروحية

انما حل هذه المسائل المشككة لا يتم الا في تجديد خلقي روحي ولكي يكون الناس اكثر سعادة واوفر افادة في حياتهم الذاتية والاجتماعية وجب عليهم ان يتبعوا من وجهة نظر جديدة هذه الاساسات الخلقية والروحية ويحققوا فيها لانها المسيطرة على امور الحياة

وغابتنا ان يحصل لنا الحظ والغبطة بان ندل على السبيل المؤدي الى اعلاء مستوى كل منا شخصيا وارتقاء بلادنا الى مستوى رفيع في الحياة متحررين الحقيقة من غير ما تحيز في هذه المواضيع الكثيرة الالهية وهذه المبادئ التي هي بناء حياتنا الذاتية والاجتماعية

ما هي علاقة الدين بالمسائل الاجتماعية ؟

من المسائل المهمة في المبحث الديني مسألة علاقة الدين بالاجتماع . فالدنيا تعاني اليوم اكثر مما في كل يوم جماعاً من المشاكل المهمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والمالية وتصادم بها وقد نشط الناس الى التحري عن حل دائم متين لهذه المشاكل الآخذة يوماً فيوماً بخناق المجتمع البشري وفي استغاثتهم هذه ولوا وجههم شطر الدين لانه المكلف اكثر من سواء بضمانة سعادة البشر وتساءلوا عما اذا كان الدين هو الطيب الحقيقي الحاذق بالداء والدواء في هذه الحياة ومشاكلها المهمة . هوذا مسألة ايضاً من المسائل المشككة التي تواجهها اليوم النظم الدينية هل للدين علاقة بالمسائل الاجتماعية ؟ ام ليس له ؟ وان كان له علاقة فما هي ؟ في العصور السابقة كان اكثر

الخلق يقولون بمبدأ الحق للقوي وكانوا يعتصمون بهذا
 المبدأ وعليه مالوا الى الحروب والمخاصمات وقد شأوا
 ان يصبغوا مبدأهم هذا بصبغة مشروعة فادعوا بان
 الصلح والسلام بين البشر لا يتم الا بالارتكاز على
 التحكم والتفوق ومن المؤسف ان تكون التجارب
 الكثيرة دلت على ان هذا المبدأ المقصود به تأسيس السلم
 بين الناس قد اضر جد الضرر برفاههم وسعادتهم .
 فكم وكم من الامم قد خربت وخربت سواها بسبب هذا
 التفوق فالناس الذين هم بالحقيقة اعضاء جسم البشرية
 الواحد والمرتبطة صوالحهم كل الارتباط ببعضها لا شك
 انهم لا يقدرون على ضمان سعادتهم الذاتية ما داموا عاملين
 على اضمحلال بعضهم . فمبدأ التفوق هذا قد ظهر اليوم
 عجزه بما ترك وراءه من الضحايا والخرائب

ان قسماً من الناس ظن ان السبب الاصلي لهذا
 الاضطراب والخصام في المجتمع البشري هو عدم التساوي
 والانصاف في الاقتصاديات واعتقدوا بانه لو وضع اليوم

للاقتصاديات نظام يقرب الحالة الاقتصادية رأساً على
 عقب ثم نفذ بالقوة يتم من ذلك اصلاح احوال البشر
 الاجتماعية ويضمن السعادة للناس . والواقع انه لئن كان
 اصلاح الاقتصاديات والماديات يؤدي الى بعض الفائدة
 الا انه نظراً لكون سعادة البشر الحقيقية ورفاههم الحقيقي
 يرتكزان على اساسات اعمق وامتن من الحاجات المادية كان
 تنسيق واصلاح الاحوال الاقتصادية من جديد غير مجدي
 في تأمين السعادة البشرية وخصوصاً اذا اردنا تطبيق
 هذا المبدأ بالجبر والشدة وقد ثبت من التجارب ان
 انفاذ هذا المبدأ جبراً قد جاء بالاضرار الوخيمة العاقبة
 عوضاً من الاصلاح العام المنتظر

ان الاصلاحات الحقيقية لا يجبر الاهالي عليها كاجبارهم
 على الاكتساء بالبسة محضرة مهينة . ان التكامل الباطني
 والنمو الاخلاقي شرط للتقدم الحقيقي

وكذلك قسم اخر من الخلق قد ظن انه يمكن تأمين
 الصلح ودوامه بوضع القوانين الجديدة وعقد المعاهدات

الدولية ولكن بما انهم عجزوا عن تأليف نظام يكفل انفاذ
 المعاهدات واجراء احكامها نجد عند حدوث الاحداث
 والاضطرابات الكبرى والخلافات الدولية ان تلك
 المعاهدات وهاتيك القوانين لم تعد سوى قصاصات من
 الورق اغلى ما تساوي هو الرمي الى الازقة حيث تدوسها
 الارجل وهكذا تبدد الامل بالسلم والصلح وتسمي هباء
 منشوراً

ما من قوة تضمن تنفيذ المعاهدات سوى قوة
 الصداقة والصلح الحقيقيين الخالصة من اطماع الانسان
 النفسية والمرتكزة هذه القوة على الاخلاص قلباً وروحاً .
 اما الاحكام والمعاهدات والقوانين فلا تضمن لوحدها
 دوام الصلح

اما وجهة نظر الدين وتعليمه في هذا فهي انه
 يصّر على الاعتقاد بان المسائل الاقتصادية والسياسية
 هي في الاصل مسائل روحية وخلقية . وبان هذا

التشويش الحاصل في انتظام الحياة الاجتماعية هو في
الاصل ناشئ عن التشويش الروحي والخلقي المتاصل في
الحياة الشخصية وبان الحل الحقيقي الدائم لهذه المسائل
كلها يمكن ان يؤسس على اساسات روحية واخلاقية
قوية

بناءً على ذلك ولأجل التكامل الاجتماعي يسعى
الدين الى تبديل فكري وقلبي في الوجهات الروحية
والخلقية وبهذه الوسيلة يصل الى اصلاح الافراد وبالتالي
المجموع البشري

ان الدين في حل المسائل الاجتماعية المعضلة لا
يعتقد معاهدات ولا يضع لوائح قوانين ولا يحاول حل
هذه المسائل بتلك الوسيلة . لانه يرى ذلك خارجاً عن
حدود وظائفه . ولكن الدين يرينا ويدلنا الى المبادئ
الصالحة التي يجب ان تبني عليها المعاهدات والقوانين
السياسية ويغرز فينا القوى المعنوية والاخلاقية التي
لا بد منها لأجل ضمان القيام بالمعاهدات وحسن تنفيذها

والدين يؤمن بان هذه القوى المعنوية والاخلاقية
لا تحصل للمجتمع البشري الا بالارتباط بالله تعالى الذي
يعلمنا الدين عنه انه رب العالم . منبع الخير والبركة .
حافظ القداسة والصلاح . فيشعر الناس بهذا الشعور
ويتبادلون المحبة والعطف بعضهم على بعض . والدين
يعلمنا ان سعادة الانسان الحقيقية لا تحصل الا عن هذا
الطريق

اننا لدى امعان الفكرة نجد ان وجهات نظر الدين
هذه في شان اصلاح الحياة الاجتماعية هي في الواقع
صحيحة ومصيبة . لو كان في الامكان الحصول على السعادة
عن طريق القوانين والنظامات الاكثر كمالاً — لو كان
بالامكان الحصول على حل المشاكل الدولية بعقد المعاهدات
لوحده — لما كانت البلدان تتحول الى خرابات واطلال
دارسة

انه من العبث ان نعتقد بان الصلح والسلام بين
البشر يحصلان بعقد المعاهدات بين الدول . او بوضع

القوانين والانظمة الجديدة او بتحديد التسليح او بتعيين الحدود بمعرفة لجان او بتجديد نظمات الكمارك والضرائب او بتنسيق ساعات العمل وتعيين اجور العمال الخ

ان القضايا الاجتماعية مرتكزة على ما هو اعمق واهم من ذلك . فانت لا يمكنك ان تعيد الراحة والسلام الى عائلة مملوءة بالفساد والوساوس ومتسلط عليها الحسد والشهوة . كذلك العالم فانه عائلة كبرى فاذا لم يحصل الاخلاص والوفاء والمحبة بين الملل والافراد فلا ضمان ولا ثبات للصالح الحقيقي . اما القوانين والنظمات فانها تعمل في ظواهر المسالة دون بواطنها فمن شاء ان يحقق وجود قوانين ونظمات صحيحة ويضمن امكان تنفيذها فعليه ان يعرف اسباب عدم انتظامها وعدم امكان تنفيذها ليتدارك ذلك

فاذا لم ينم بين الملل شعور الاخوة والمحبة المتبادلة فليست المعاهدات اذن سوى هدنة لاجل تحضير القوى

لاستئناف الحرب والخصام اذ انها لا تعتبر الا صلحاً
موقتاً

ان كل المسائل الصناعية والاقتصادية والسياسية
والمالية وغيرها هي عبارة عن علاقات متعاقبة بين الافراد
فما دامت العلاقات المذكورة مرتكزة على الانتقامات
الشخصية حيث يجهد البائع بان يغر المشتري فيبيع منه
الرخيص غالباً والمشتري بان يخدع البائع فيأخذ منه الغالي
رخصاً والمستخدم ان يغش العامل فيعطيه قليلاً من
الاجرة لقاء كثير من العمل والاجير ان يخاتل المستخدم
فيعمل قليلاً لقاء اجر كبير

اجل ما دامت الحالة على هذا المنوال فليس بالامكان
ان نحل بوضع القوانين المشاكل الاجتماعية المتأصلة بين
الافراد او بين الامم

واما من جهة اخرى فاذا نما في قلوب الافراد شعور
الاخوة فتغلب الصلاح والحقيقة على الشعوب واصبح
للناس في معاملتهم واخذهم واعطائهم اخلاق جديدة صالحة

عند ذلك يتسلط الصلح والسلام والعدل والانصاف بين
الناس — تلك التي عجزت المعاهدات عن ايجادها

واما اذا عمل الناس لمنافعهم الشخصية وحصروا
مساعيهم وتعاونهم في عرق او لسان او ارض او حزب
او مذهب فعوضاً من تقرب البشرية وارتباطها يحصل
التباعد والتنافر . لان الصلح الذي يعم كل الارض
يتوقف على اخوة عامة وعلو في النفس وبعد في النظر
ونحن نعتقد انه يفيد جداً درس حياة يسوع
والتدقيق في اعماله وارائه الاجتماعية وفهم السبل التي
سار فيها

كان قصد يسوع ان يوجد في الحياة البشرية
تحويلاً وتجديداً متاصلين في النفس وان يبنى العلاقات
البشرية على اركان جديدة قوية فيحصل من ذلك
بشرية جديدة ولكن في سبيل الوصول الى هذا الهدف
لم يصدر احكاماً غير انه تتبع اصول حل المشاكل بمحصر
السعي في دائرة الاخلاق واصلاح المجتمع والتاثير الحبي على

القلوب . فمتى درسنا حياته من وجهة النظر هذه تستنير عقولنا
فنفهم المسائل الحاضرة . كان في زمان يسوع كما هو الحال
في زماننا الحاضر فرق واحزاب مختلفة متضادة المقاصد
والمساعي فالعداوة التي كانت قائمة بين اليهود والرومان
هي كانت اشد من العداوة الحاصلة في عصرنا بين العناصر
المختلفة

يومئذ كان الرومان الوثنيون محتلين فلسطين
ومستبدين فيها وهي تلك الارض التي كل تلة وكل وادٍ
وكل مهل وكل جبل وكل ذرة تراب منها كانت في
اعتقاد اليهود مقدساً وكان اليهود يحنون الرقاب لسيوف
اعدائهم . فهذا الموقف الذي وصفناه بهذه العبارة
المختصرة يكفي لتبيين تلك العداوة المتأصلة في قلوب
الامتين . تلك العداوة الابدية غير الخاملة نارها

الرومانيون ينظرون الى اليهود نظرهم الى امة عدوة كل
البشر واليهود يحتقرون الرومانيين ويدعونهم بالكلاب
الغير المختنة . فاي اهمية تعلق على القوانين والديساتير

في شأن الائتلاف بين امتين كهاتين الامتين المتعاديتين
 اما يسوع فانه نظر الى الامتين بعين محبة واحدة
 فكلاهما عنده اولاد الله وعلمهم ان ينظروا هم ايضاً الى
 بعضهم ويتعاملوا بهذا النظر المحب وكانت النتيجة انه
 تمكن من تحويل نظرهم الى جهة المحبة ونسيان تلك العداوة
 وقام في نفوس تلاميذه ومريديه من الامتين روح المحبة
 والاخوة في مقام العداوة . كما انه قد كان بين الاحزاب
 اليهودية عداوات واختلافات حادة حيث كان منهم
 حزب يدعى بالحزب الوطني من قصده الاستفادة من
 الفرص والاجتهاد بتخليص البلاد من الغاصبين الرومان
 وكان هذا الحزب متعصباً لامته حتى ان بعض افراده
 كانوا مفرطين في مطالبهم وغاياتهم الوطنية حتى امتنعوا عن
 اداء الضرائب والاعشار للحكومة

ومن جهة اخرى كان قوم من اليهود يتقربون من
 الرومان ويتزلفون لهم ويشغلون الوظائف لديهم ويجبون
 الاعشار ويلتزمون الضرائب وهوؤلاء هم الذين كانوا

يدعون بالعشارين الذين كان من مصلحتهم دوام الاحتلال
 الروماني وكانوا في تحصيل الاعشار وجباية الضرائب من
 الامة يستبدون ويظلمون ويطمعون ويعذبون الناس ورغماً
 عن كون الحزبين المذكورين من الامة اليهودية الواحدة
 فان الحزب الوطني كان يكره ويبغض ويحتقر الحزب
 الثاني العشارين احتقاره للرومانيين وبغضه اياهم فكان
 لا يمكن حتى ولا في التصور السعي لتأليف ذات البين
 بين الحزبين لان مقصد كل منهما كان محو الآخر
 واضمحلاله

اما يسوع فانه في هذه المسألة ايضاً قد اتخذ سبيلاً
 لحل المسألة حلاً عجيباً ناجحاً

كان من تلاميذه واحد يدعى سمعان وهو من
 الحزب الوطني المتطرف وواحد يدعى متى وهو عشار من
 الحزب المتزلف فلما اجتمعا لأول مرة في حضرة المسيح
 يسوع ابن مريم قامت بينهما القيامة وكان من المنتظر
 ان سمعان يهجم على متى ويطعنه بخنجره الذي كان

يحملة . لكن يسوع علمها وهذبها فجعلها اخوين
ورسولين له . فجلسا في مجلس واحد وعلى مائدة واحدة
واكلما معاً طعاماً وشربا معاً شرباً وهل من وسيلة انجع من
هذا لاجل التاليف بين هذين العدوين

ان الوطني المتطرف سمعان كان بامكانه ان ينتل متى
العشار ولكن ذلك لم يكن كافياً لحل الخلاف بين الافراد
والاحزاب بل يكون مسبباً لاشتداد العداوة . وفي
الحقيقة ان اساليب الارهاب تزيد العداوة والحقد عوضاً
من ازالتها لهما واما اذا تهذب الناس وتعلموا وتعاشروا
فتركوا العمل لمصلحتهم الذاتية وضحوا الشخصيات
والخصوصيات في سبيل المصلحة العامة واستعاضوا من
ذلك بالعمل المفيد للعموم وهجروا العداوة التي يثيرونها في
القلوب على اقل مسألة طفيفة واستبدلوا ذلك بالمحبة
للاخرين . عندئذ وفي ذلك الوقت وحده يعم السلم
والصلح بين البشر

جاء مرة الى يسوع شقيقان مات ابوهما واختلفا على

ارثه فاخذ احدهما بطمع بالحصول على قسم كبير من
التركة ويهضم حق اخيه وكان الاخ المتضرر متكدراً جداً
من طمع اخيه فوقف في حضرة يسوع وقال له : يا سيد
قل لابي هذا ان يقاسمني الارث . ومع كون حل هذه
المسألة الارثية بسيطاً قانوناً والناس ينتظرون من يسوع
حلها ولكنه راي ان تقسيم هذا الميراث بين الاخوين طبقاً
للشرع والعدل لا يمنع عداوتهما بل قد يزيد حقد الغاصب
وشرهُ فقال لهما «من اقامني عليكم قاضياً ومقسماً» واستنكف
من حل المسألة والقضاء بها فاستوجب بجوابه هذا حيرة الجميع
فتساءلوا عن سبب الاستنكاف مع انه كان يعلم ان الغاية
المقدسة التي جاء لاجلها هي الصلح والسلام بين البشر .
لا شك ان حل هذه المسألة القانونية كان سهلاً جداً
وان يسوع كان عارفاً بالشرعية ممكناً له انفاذها . ولكن
الشيء الذي فكر به يسوع كان غير ما فكر الناس به فانه
كان يريد ان يصالحهما وان يجمع بينهما قلباً وروحاً لا ان
يقسم بينهما الميراث شرعاً فيزدادا غيظاً وحقداً الواحد على

الآخر . وقصده هذا كان اهم نتيجة من تقسيم المال بعدل
فنظر الى هذين الاخوين وقال لهما كلمة بسيطة « جانبوا
الطمع » اذ انه متى زال الطمع انحلت المسألة لان فكر
المحبة والاخوة ينتج القسمة العادلة . واما اذا لم يكن
هناك شعور اخوي فلا نزول من الناس الخصامات
والمنازعات حتى ولو نفذ القانون العادل بقسمة عادلة .
ولا تحصل سعادة البشر الا بالاخوة

ان القوانين تضمن اجراء الحق والعدل ولكنها لا
تنزع من القلوب الطمع ولا تولد فيها الاخوة
متى زال من الخلق الطمع وعبادة المال يحصل طبعاً
قيام العدل واحقاق الحق وتعامل المال ليس بالغدر بل
بالتضحية

جاء مرة رؤساء اليهود الى يسوع بزانية متلبسة بالجرم
وقالوا له انا وجدناها تزني وان ناموس موسى يامر برجم
الزانية فما نقول انت ؟

فاطرق يسوع راسه الى الارض خجلاً وسكت .

اما هم فلانهم يقصدون اجراء احكام الناموس برجم
 المرأة . اعادوا السؤال ذاته فاضطروه الى الجواب . وبما
 ان القضية كانت في نظره ليست قضية اجراء الناموس
 برجم زانية مستحقة العقاب بل قضية تخليص المرأة اولاً
 من حالها وثانياً من العقاب لاجل رفعها من درجة الذل
 والرديلة الى مستوى الفضيلة والعفة ومن جهة اخرى قضية
 ايقاظ الشعور الانساني في قلوب اولئك الناس وارشادهم
 الى الفضيلة وهم اولئك الذين يرتكبون الزنى سرّاً ولا يقعون
 في ايدي القضاء ويظلون في الظاهر انقياء . اولئك المراءون
 الذين جاؤوه بتلك الزانية وقد تكون مدفوعة للزنى بدافع
 غير ما يندفعون هم به مدعين عليها متظاهرين بالعفة
 ليخفوا عن الناس عيوبهم

فقال لهم « من كان منكم بلا خطيئة فليرمها اولاً »

بمجر

ثم عاد فسكت واطرق في الارض حياة امام هؤلاء
 الذين لم تاخذهم شفقة على تلك الساقطة المسكينة

فماذا كان ؟ انهم وهم الذين لم يخجلوا من جرّ امرأة
 في الازقة جامعين من خلفهم جموعاً من اولاد وكبار
 مدعين عليها الزنى انهم قد تحرّكت الفضيلة في قلوبهم من
 كلمات يسوع وخجله ومن ذلك الجواب الكبير العالي
 واستيقظت في نفوسهم الحاسات الانسانية فاحمرت وجوههم
 خجلاً وانسحبوا من لدنه واحداً اثر آخر . فلما رفع راسه
 والتفت حواليه لم يجد منهم احداً غير المرأة فقال لها .
 «انا لا ادينك فاذهبي ولا تعودي تخطئين»

انه حكم حكماً عادلاً لانه لو حكم برّجهما لتج انه
 محا من الوجود امرأة وابقى المرائين الزناة سرا على ضلالهم
 ورذيلتهم . ولاجل ذلك اراد يسوع ان يطهر المرأة من
 الخطيئة والمرائين من ربايهم ويوقظ فيهم روح الفضيلة
 وهذه كانت احسن صورة لحل هذه القضية

ان الاحكام الشرعية لا تقدر الا على تعيين العقاب على
 فعل الزنى ولكنها لا تقدر على تخليص الناس من الزنى

مع انه يلزم في قدسية العائلة وطهارة الضهير ان يكون
الانسان قديساً روحاً وقلباً . والقداسة الاجتماعية والشخصية
لا تحصل ولا تتحقق الا بهذ الوسيلة

في ذلك الزمان كانت البلاد تحت سيطرة الاحتلال
العسكري في ادارة مستبدة مطلقة فكانوا يجبون الاعشار
بدون حد وكانوا في سبيل ذلك يضطهدون الناس
ويذيقونهم العذاب والظلم وكانت الاعشار والضرائب
تزداد بازدياد المصاريف والاسراف في اقامة الثكنات
العسكرية ومصاريف الجند والملاهي ومصارعة الانسان
للحيوان . وكان يسوع يرى كل ذلك . وكان اليهود
يمتنعون عن اداء الضرائب وتقديم الاعشار فيعصون
الاوامر الصادرة اليهم من الحكومة . ولكن يسوع رغماً
من وتوفه على هذه الحال لم يكن يتدخل لخلاص اليهود
منها ولا شاطرهم هذا الرأي . وعندما سأله هل يجوز ان
تعطى الجزية لقيصر قال اعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله
لله . ولما طلب العشار منه العشر والجزية ولم يكن لديه نقود

تكفي ارسل احد تلاميذه ليصطاد سمكة ويؤدي الواجب
عليه للحكومة

هو كان يعلم ان اولئك اليهود لو انتصروا على
الرومان ونالوا رغبتهم من اجلائهم عن بلادهم لاقاموا
مقام الحكومة الرومانية المستبدة حكومة يهودية متعصبة
عمياء وهذا ما لم يكن يراه مناسباً ولا كان يسعى اليه .
لان هدفه في تعليمه ليس ازالة حكومة مستبدة لاقامة
حكومة متعصبة ولا نصر ملة على ملة بل هدفه كان
الصلح العام وتبديل آراء الناس بحق بعضهم البعض ونزع
البغضاء من قلوبهم لنشر المحبة والاخوة في كل البشر . فبناءً
على ذلك امتنع عن استعمال الوسائط الزجرية في اصلاح
المجتمع وسعى لتبديل اخلاق الناس وتهذيبها

ان هذا التدبير المصيب الذي اتخذه يسوع لاصلاح
المجتمع وتلك القداسة الذاتية التي كان يتحلى بها هو نفسه
احداثاً في الوجدان البشري العام تبديلاً لم يكن ممكناً
حدوثه من قبل اية قوة اخرى . انه لهذا المقدار كان

مؤثراً على المجتمع حتى رأينا ان اليهودي الوطني والمفرط
في تعصبه لوطنه والعشار والروماني الوثني غير المختلن
يعيشون كلهم معاً عيشة الاخاء والمحبة

اولئك الاشخاص الذين كانوا حتى ذلك اليوم
تسلط في قلوبهم الانانية والبغضاء والعداوة والظلم قد
انقلبوا الى اشخاص يعتقدون ان اقدس واجب عليهم هو
محبة الآخرين وخدمة الآخرين واغاثتهم

هذا هو هدف يسوع وهذا هو قصده . وقد
حصل . وهو لكي يكون مثلاً قد احب الجميع محبة لا
توصف ولا تحد . وكان يقابل التحقير والاستهزاء
بالمحبة والبركة ولم يستنكف من بذل حياته فداءً عن
الناس . لانه لا يمكن تأسيس الصلح والسلام الحقيقيين
في العالم الا في حب الناس بعضهم بعضاً ولو في فداء
الواحد الاخر بنفسه ان يسوع ظل محافظاً على هذا المبدأ
ومخلصاً له

اما نحن فاذا تفحصنا اعماق قلوبنا من هذه الوجهة
 نجد ان ليس فيها ظل لهذه الصداقة ونرى اننا لا نفقه لها
 معنى صحيحاً حتى انه ليصعب علينا ان نعامل اخوتنا
 ومواطنينا معاملة الاخوة والاصدقاء فكيف بنا في معاملتنا
 سائر افراد المجتمع البشري اما دستور حياتنا فهو قائم على
 طلبنا مالا فوق مال واخذاً دون اعطاء . واما يسوع
 فان المحبة والتضحية هما اساسان في حياته وركان في
 تعاليمه . هو كان يحب الناس كافة غير ملتفت الى
 عرقهم او جنسهم او مذهبهم او وطنهم او مقامهم
 الاجتماعي . فكلهم كانوا في نظره اولاداً للاب الواحد
 السماوي فلا فرق لديه بين واحد منهم والاخر . فكان يحب
 العشار المحتقر ويخالط السامري المتروك ويعود المجدوم
 المهجور لانه يعتقد ان اقدم طريق وانجع علاج الى شفاء
 المجتمع واصلاح البشرية المضطربة هي المحبة والشفقة
 هذا هو مقام الدين وموقع تعاليمه في العالم الاجتماعي .
 ان الدين الحقيقي يرفع انظار الخلق من دركة الانانية

السافلة الى الاعالي ويوجهها الى الذات الجليل الاقدس
المحب خير الجميع الشفيق عليهم . ويسوق الناس الى
الاftكار والنظر الى المحبة والفداء والى الواجبات اكثر
من الحقوق . ان الدين محق جداً محقق في نظريته هذه
الدين الصحيح الخالص من الغش هو هذا : ان تحب
الرب والناس من كل قلبك ومن كل نفسك . فهو مرتكز
على دعامة تبادل المحبة . لان القانون الطبيعي للعالم هو
المحبة والانتظام . وما نراه في العالم من اضطراب وعدم
انتظام فهو منبعث عن عدم ادراك الناس هذه الحقيقة
وعن اتباعهم مطالب الحياة اتباعاً حيوانياً . ونهاية جميع
المسائل الاجتماعية هي مسألة « انا » « وانت » . فلو ان
الخلق اعتمدوا في هذه المسألة على المحبة لحصل للعالم
السكون والانتظام . وهذا ما يعلمنا اياه الدين فموقف
المؤمن الحقيقي هو موقف المحب لله والناس والحياة .
والتدين ليس سوى الحصول على روح المحبة والعمل بما
تمليه علينا

ان اليأس ياخذ بمجامع القلب عندما يطالع المرء
 تاريخ الاديان فيجدها مشحونة بالاختلافات التي عوضاً
 من ان يمحوها الدين ويزيلها من بين البشر ويربط الناس
 بعضهم ببعض برباطات المحبة والتعاون والاسعاف قد
 فرقت بينهم بصورة انه لم يعد بالامكان ضم شملهم وعوضاً
 من ان يجعلهم متصلين بالسعادة والسلام قد امسى سبباً
 للمنازعات والمخاصمات المفجعة . وهذا هو الدافع ببعض
 الى الاعتقاد بان لا فائدة ترجى من الدين . وان الطريقة
 الوحيدة لاعادة السلام والصلح هو ابطال الدين والغاء
 احكامه

ان هذه الحال لجديرة بان تدفع بكل متدين حقيقي
 الى التأمل العميق والتروي بالمسألة نعم اننا اصبحنا
 مضطرين الى اعمال الفكر وانعام النظر لكي ندرك المعنى
 الحقيقي الخالص للدين ومقدار فائدته في اعادة الصلح
 والسلم والسعادة للمجتمع البشري . ان الدين هو من
 اعلى كنوز الفطرة البشرية الثمينة وهو عامل مؤثر

فيها فاذا فهمناه بمعانيه ومراميهِ الصحيحة وعملنا بموجب
 ارشاداته والهاماته نجده عاملاً كبيراً قوياً لحل جميع
 المسائل المشككة المختلف عليها الحاصلة بين البشر افراداً
 الدين يمكنه ان يعالج الادواء الاجتماعية ويستاصل
 شافة عدواها بهذا العلاج العجيب الذي يوجد بدلاً من
 التنازع اخوة وبدلاً من الطمع وفاء وجوداً . وبدلاً
 من العداوة محبة . فاذا كان للبشر بارقة امل بجل هذه
 المشاكل فهي لا شك تكون في الدين الذي عنيناه بهذه
 النظرية

يقولون ان الدين يفرق بين البشر ونقول ان الدين
 الصافي الصميم يعلم الناس حسن الائتلاف وهو اقوى
 عامل لتنظيم المعاملات العامة وعقد الروابط الصالحة بين
 الافراد والامم . وبناءً عليه فان السعادة البشرية لا تحصل
 لنا بقيامنا ضد الدين بل بفهمنا الدين فهماً صحيحاً وباجراء
 احكامه باخلاص في معاملتنا . ان ما يلزم ليس هو
 اقضاء الناس عن الدين وتبغيضهم له بتعصب المتدينين

لمعتقداتهم . بل ان ما يلزم هو فهم المتدين ان الدين هو
 محبة الاخرين والتعامل معهم باستقامة وصدق وصادقة
 بحيث يكون الانسان مثلاً مجسماً لهذه الفضيلة
 « احبوا بعضكم بعضاً كما احببتكم انا » .



مكتبة الاخلاقيات الدينية

الكتاب الخامس

ما هو الإيمان بالله

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان



ترجم عن التركية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٩

John R. [unclear]

1844

John R. [unclear]

John R. [unclear]

John R. [unclear]

John R. [unclear]

مقدمة عامة

ان الحاجات المادية تشغل الناس في الامور الاقتصادية والاجتماعية فيعرض للافراد في حياتهم الذاتية وللمل في حياتها الاجتماعية كثير من المسائل المشككة . وهذه المسائل التي تبدو لنا فنظنها اقتصادية او ادارية محضة هي في الحقيقة مبنية على اساسات خلقية وروحية

انما حل هذه المسائل المشككة لا يتم الا في تجديد خلقي روحي ولكي يكون الناس اكثر سعادة واوفر افادة في حياتهم الذاتية والاجتماعية وجب عليهم ان يتبعوا من وجهة نظر جديدة هذه الاساسات الخلقية والروحية ويحققوا فيها لانها المسيطرة على امور الحياة

وغابتنا ان يحصل لنا الحظ والغبطة بان ندل على السبيل المؤدي الى اعلاء مستوى كل منا شخصياً وارتقا. بلادنا الى مستوى رفيع في الحياة متحررين الحقيقة من غير ما تحيز في هذه المواضيع الكثيرة الالهية وهذه المبادئ التي هي بناء حياتنا الذاتية والاجتماعية

ما هو الايمان بالله

من الاساسات المهمة في امور الدين مسألة الايمان بالله . وليست اهميتها متكونة من مسألة وجود الله او وحدانيته لانها مسألة لم يعد مجال للبحث فيها . فالله موجود وهو واحد وما انكار وجوده الا من السفسطة ولا الاعتقاد بتعدد الالهة سوى حمق وجهالة وكل من له مسكة من العقل السليم يقول بوجود الله ويسلم بوحدانيته لذلك كانت القضية المهمة في هذا البحث هي كيفية الايمان بهذا الاله الكائن الواحد هل تقتصر على الاقرار به باللسان ام لهذا الايمان معنى اخر اكثر اهمية من ذلك الاقرار ؟

فنحن في هذه الرسالة سندرس هذه المسألة الاساسية بل اس الاساس فلنبحث اولاً في ما هو الايمان وعبارة عن اي شيء هو

ما هو الايمان ؟ ان توضيح هذا السؤال بالامثال
يفيدنا ويساعدنا على فهم السؤال والجواب

لنفرض اننا سمعنا في المدرسة من المعلم انه يوجد في
افريقيا الوسطى جبل يدعى بكذا ثم قرأنا في كتاب
الجغرافيا عن هذا الجبل حتى وعن نوع تربته وصخوره
وما يمكن ان يعيش فيه من النبات والحيوان وعن درجة
ارتفاعه عن سطح البحر وجميع المعلومات الفنية المتفرعة
عن وجوده وبعد الوقوف على هذه المعلومات نومن بصحة
وجود الجبل المذكور ولكن هذا الايمان لا علاقة له
بشخصنا ولا بحياتنا لذلك تكون تلك المعلومات بنظرنا
عارية عن الاهمية لانه سواء كان ذلك الجبل موجوداً
ام غير موجود فنحن لا نهتم له لعدم مساهمة حياتنا
وشخصيتنا بشيء ولا ارتباط لهذه المعلومات بماهيتنا
الانسانية الاصلية . فلا شك ان الايمان بالله اذا كان
مثل هذا الايمان بوجود الجبل لا يكون ايماناً حقيقياً
الدين هو تأثير قدسي يتعلق بكلية شخصيتنا وحياتنا .

لذلك كان الايمان بالله ديناً هو كيفية اساسية شاملة حياة
المومن وشخصيته وهويته واعماق قلبه وفرع حياته وتصرفاته
وبالجملة جميع احواله وخصوصياته . ان الايمان بالله هو ان
يودع المرء حياته ويسلمها في الحال والاستقبال الى الله
الاجل الاعلى

لتوضح المسألة بمثال آخر . لو فرضنا انني سمعت عن
مستشفى عظيم متقن كل الاتقان في سويسرة وان هناك
طبيباً نظامياً حاذقاً يعالج المرضى وهذه سمعتها من صديق
صادق ثم قراتها بكتاب الاخبار ثم طالعت عنها في
الصحف فتحصل لي ثقة بصحة هذه المعلومات . ولكن
وجود او عدم وجود ذلك المستشفى او ذلك الطبيب
وصحة او عدم صحة تلك المعلومات لا اهمية لها عندي
الآن . فاقول يمكن ان يكون ذلك ويمكن ان لا يكون لانه
لا علاقة لي شخصياً به ولا تاثير له على حياتي اما لو اني
اصبت يوماً بمرض واشتد مرضي يوماً عن يوم ثم رايت
صحتي قاربت من التهلكة ولازمت فراشي مدة طويلة

فنصحتني اطبائي بان اذهب الى سويسرة وان ادخل ذلك
المستشفى ليعالجني فيه ذلك الطيب المعروف فمن تلك
الدقيقة تكتسب المسالة في نظري اهمية غير الاهمية
السابقة واصبح مرتبطاً بذلك المستشفى وذلك الطيب
لان المسالة تعلقت بحياتي وشخصي وبالضرورة اتدبر
طريقة توصلني الى هناك واتدارك الوسائل اللازمة
للدخول اليه واسلم نفسي وحياتي الى يد ذلك الطيب
ومعالجته واطيع اوامره وكل الاوامر الصادرة من ادارة
المستشفى وهذا امر واجب علي لاجل مصلحتي . حتى اني
عند اللزوم ادخل طائئاً الى غرفة العمليات واستلقي على
مائدة التشريح مسلماً نفسي للطيب مقتنعاً بمهارته وحذقه
ومعتقداً باهتمامه بي وشفقته علي . فهذا هو الايمان .
اجل انه ايمان له علاقة قوية متينة بنفسي وحياتي . والايمان
بالله هو هكذا

في التجارب والاحن والاضطرابات والمصائب
يلتجئ المرء الى ذي الفضل والاحسان الحق سبحانه وتعالى

ويعتمد على عطفه الالهي ويفوض اموره اليه . وهذا هو
 الايمان اما الاعتراف باللسان فقط بوجود الله ووجدانيته
 فليس ايماناً . بل يجب ان نؤمن بالباري تعالى فعلاً
 وحقيقة

واليك مثلاً آخر
 انا ابن عائلة كريمة وكنت اعيش في احضان والدي
 وشفقتهم براحة ورفاه واكرمهما واطيع اوامرهما كل
 الاطاعة . ولكني بليت يوماً بمعاشرة رديئة وشرعت
 اسلك خفية عن ابي المسالك المضرة وصرت اقيم ليلاً
 نهاراً مع رفاقي المضرين وما طال بي الامر حتى اصببت
 بالسقوط الادبي والمادي فلم يبق في جيبى غرش واحد
 ولا في صحتي طاقة ولا حول وبدات افكر واخلو بنفسي
 وابكي وانتحب اسفاً وندامة وفكرت بالالتجاء الى صديق
 غني من اصدقائي فلم يمد لي يداً ولا اقرضني فلساً .
 فرجعت الى نفسي وذكرت والدي فهاجني التذكار
 وقتت من نفسي ومشيت اليه فوصلت الى امام باب دارنا

وطرقت الباب ولما فتح ارتفعت على مواطئ قدمي ابي
وقبلت الارض بين يديه وعرضت له حالتي وماضي ورجوته
السماح والاعانة واعترفت له بذنوبي وسلمت حياتي ليديه
فهاجت في قلبه الشفقة والحنان ونسي جميع ذنوبي وعانقني
وقدم لي لباساً وطعاماً وشراباً وقبلني في داره ولدأ ثائباً .
فاعتمادي على محبة وشفقة ابي وذهابي اليه هذا وايماني بانه
يقبلني وينسي ذنوبي هذا هو ايمان بمحبة وحنو والد
شفيق وفي لا في سلمت نفسي الى من اعتمد على استقامته
ومحبته وكرمه والايمان الديني هو هكذا ان نعتمد على
محبة وحنو الله ونعيش حسب ارادته والايمان يعني ان
بيننا وبين الله علاقة صالحة

ففضلاً عن العلم بان الله موجود وواحد يجب علينا
ان نعتمد على قداسته ومحبه وان نسلم ذواتنا لامره . وهذا
هو الايمان الحقيقي

قد يحصل اني اتعرف على رجل فاعرف اسمه وعمره
وعمله وعلمه وثروته

وقد اعاشره ورافقه ليلاً نهاراً ويظهر كلُّ منا
 للآخر حباً وتودداً واکراماً وربما تعظيماً ولكن رغماً عن
 كل هذه الظواهر لا تكون لي به ثقة فلا اصدق قوله
 ولا اهتم لرايه حتى اذا طلب مني خمسة غروش قرضاً
 امتنع عن اجابة طلبه لاني موقن بانه لا يفي دينه فهل يكون
 بيننا في هذه الحال علاقة شخصية ؟ كلا

لان ما بين الاشخاص من مصاحبة ملاصقة لا عبرة
 به ان لم يكن مرتكزاً على الثقة والصدقة ولا تقوم الصداقة
 الا على اسس تبادل المحبة والثقة

مثل هذه علاقتنا بالله . فانه يمكن ان يعرف المرء
 اشياء كثيرة عن الله ومعلومات صحيحة قد لا يعرفها
 سواه وقد يدرك من اسرار الدين ما لا يدركه اخر وقد
 يباحث الناس ويحاجهم بالمسائل الالهية يبراهين مفحمة
 حتى انه قد يكون من اعظم العلماء اللاهوتيين ولكنه مع
 كل ذلك قد يكون في الباطن غير مومن ولا هو متكل
 على الله ولا مطيع لاوامره . فما هذا الايمان المزيف اذاً .

وما هي الفائدة من تلك المعارف والعلوم اللاهوتية
 حقاً ان من تكون هذه حاله يكون منقطعاً عن الله
 ولا علاقة له به . ان الايمان بالله يعني الاخلاص لله
 والاعتماد عليه اعتماداً قلبياً وليس الايمان معرفة اللاهوت
 واسرار الدين فحسب

ان لهذا الامر اهميته في مباحث الدين من وجهة
 اخرى ايضاً وهي وجهة ما في الدين من فروض وواجبات
 وعبادات . فلو فرض ان متعبداً يصوم ويزكي ماله
 ويحسن الى المحتاجين فبالحقيقة ان اعماله هذه مفيدة
 ولكنها لا تغني عن الايمان بالله

ان العامة تحسب مومنأ كل من يتم واجبات وفروض
 الصوم والصلاة والزكاة ويداوم عليها ولو مهما كانت
 اخلاقه الذاتية فاسدة واعماله مخالفة للدين

فهل في المباحث الدينية المتعلقة بالايمان اضعف من
 هذا الراي حيث يكتفي بان يقيم المرء الصلاة باوقاتها
 ويتم فروضها ويراعي طرق اجرائها بالمراسم الدينية

فيحسب مومنًا حقيقياً ويغض الناس انظارهم عن اخلاقه
 حتى ولو كان غاماً كذوباً خسيساً طماعاً مرتكباً ظالماً
 جائراً على جاره ولا يلتفتون الى ضلاله بل يتخذون
 ظواهره الدينية معياراً لايمانه . ان هذا الزلل في الراي
 نتيجة الغلط في فهم الخطيئة والاخلاق . قد ظن بعضهم
 ان علاقتنا بالله تحاكي دفتر الحساب التجاري المسطر
 والمفصل فيقيدون فيه الخطايا في صفحة الديون والحسنات
 في صفحة المطالب فاذا ارتكب احداً شراً خسر وان
 عمل خيراً ربح وازداد قدراً وطهرآ . ان هذا الاعتقاد
 نشأ عن افتكارنا بالله بصورة رسمية فظننا ان علاقتنا به
 مثل علاقتنا باحد جباة الضرائب الاميرية حيث يكون
 لهذا الجابي علينا ديون فيقيد لنا مدفوعاتنا اي حسناتنا
 ليحسمها من مطلوبه منا اي شرورنا

ان الرابطة بين الله والناس لا تكون هكذا حتى ولا
 هكذا تكون الروابط الشخصية لانك مهما احببت صديقك
 واحترمته فان لم يكن لك في ذمته ثقة فلا تعيش الصداقة

بينكما ولا تدوم . لانه اما ان تكون الثقة او لا تكون
 فان كانت قامت بقيامها الصداقة والعلاقة وان لم تكن
 الثقة فلا يمكن ان تناسس الصداقة والمحبة ولا ان تبقى
 ألسـت ترى انه لو اعتري صداقة الشخصين فتور
 بالثقة تحل الصداقة ويختل نظامها . أو لا تعتقد معي ان
 هذا الانحلال او الاختلال شيء طبيعي . ان علاقتنا بالله هي
 عين هذه العلاقة . فالايهان هو الثقة بالله وعدم الايمان
 هو عدم الثقة . والخطيئة هي افساد ما في اخلاقنا من
 صفات ومزايا حسنة . ان السيئة ليست حادثة مستقلة
 لوحدها بل هي علامة لفساد ما في النفوس وكذلك الكذب
 ليس فعلاً مجرداً بل هو صورة مظهرية ما في باطن الكذاب
 من نفاق كمن بلي بالجذام فان الكلوم التي تبدو على جسمه
 ليست المرض بل علامات المرض المتاصل في الدم الفاسد
 وهكذا نحن فاذا كانت اخلاقنا فاسدة فصلاتنا ومناجاتنا
 لا تكون صالحة . اذا لم تطابق معاملتنا الناس بمبدأ
 اخلاق الله فلا يمكن ان تعتبر عبادتنا في المعابد دليلاً

على ايمان صحيح واذا لم نؤسس معاملتنا مع الناس على
 الاخلاص والاستقامة فلا يصلح العماد او الختان اسماً
 لايماننا . لانه عند ذلك يكون الدين عبارة على شكل
 او صورة ويكون الايمان عبارة عن مراسم وطقوس
 ظاهرية

ان الله يطلب منا الاعتماد عليه والاخلاص لمبادئه
 وعيشاً بقلب طاهر ولسان صادق . واما العلاقة بالله
 فتكون بالتقرب منه والايمان به واما من كان اليوم صالحاً
 وغداً طالحاً . الان مستقيماً وغداً متعوجاً . مرة اخلاقه
 جيدة ومرة اخلاقه فاسدة . فهذا ليس مقبولاً عند الله
 الباري العظيم

ان الايمان الذي نعنيه هو ذلك الايمان المرتكز
 على الاعتماد على سجية الله تعالى اكثر من ارتكازه على
 الاقتناع بوجود الله ووحدانيته . واما السجية فهي ليست
 ان يعمل المرء ما يشاء بل هي ما كانت حقيقتها الاخلاقية
 بارزة في الاخلاص للمبدأ

ان الله عليم وقدير وحكيم . وهو يعلم كل شيء
 ويقدر على كل شيء ولكن ليست هذه الصفات الالهية
 ما يدعوننا الى الايمان به بل بالاكثر صفاته الاخلاقية
 هي ما يدفع بنا الى الاعتماد عليه والايمان به . فصلاح
 الله وعدم حبه الشر وعدم عمله الفساد وعدم ثقله بين
 هملي الشر والخير بل عمله الخير المحض الدائم هذه الصفات
 هي الصفات القدسية التي لا تفارقه تعالى ولا ينفك متصفاً
 بها هي التي تدعوننا الى الايمان به

ان الحق سبحانه وتعالى القدوس السرمدي ليس
 من صفاته ان يامر اليوم بشيء وينهي عنه غداً لانه
 ما امر بشيء الا وكان امراً مستقيماً وهو ثابت على
 استقامة اوامره

الله لا يميز بزمان من الزمان الكذب والخداع
 والحيلة والرياء والظلم والعداء

ان من كان من الناس عالماً لدرجة ان دعي علامة
 عصره لا يركن اليه ان لم يكن ثابتاً في خلقه ويحذر

الناس صداقته ومعاشرته . وكذلك من كان قوياً قديراً
ولكنه لا يملك عقلاً سليماً ولا قلباً كريماً ليحسن
الاستفادة من قوته وقدرته فلا نعتهد على قوته ولا على
قدرته

هكذا هي حالنا في قضية الايمان بالله فنحن انما
نعتهد على الله لانه محب لمحض الخير ولانه عزيز وثابت
على صفاته الحسنى والا فلوانه كان كبعض آلهة الازمنة
السابقة قادراً قاهراً ولكنه سيء الخلق فماذا كان يفيدنا
الايمان به عندئذ ؟ كان يمكننا ان نهلك له ونعظم اسمه
ولكن ما كنا نجسر على تسليمه حياتنا ونفوسنا . كنا
نخاف منه ونطيعه خشية من ظلمه ولكن ما كنا نحبه
ومثال هذا نراه في الحياة العائلية حيث نجد ان العائلة
الصالحة تربط افرادها بروابط المحبة والثقة فيعيش الزوج
والزوجة والوالدان والاولاد برغد وسعادة لان كل واحد
منهم واثق من محبة الاخر له . وفي الغالب يكون رئيس
العائلة اكثر من افرادها قوة وحكمة ولكن اصل انتظام

هذه العائلة ومصدر سعادتها هو الاعتماد على رب العائلة الذي استحقه من قلوب افرادها بحسن معاملته لهم فتراهم كلهم يحترمون شخصيته ويطيعون اوامره

ليس في الحياة العائلية خوف لانه لا يكون الا في العبودية فليس غير العبيد والامرى من يخاف من سيده وهم انما يطيعون اسيادهم خوفاً وخشية من غضبهم اما في العائلة فالطاعة مرتكزة على اساس الثقة المتبادلة

الدنيا بيت كبير يسكنه الله والبشر عائلة كبيرة رئيسها الله . الله يطلب من كل واحد الطاعة لان الله يفكر بخير كل فرد من افراد العائلة ويجب كل واحد اما اذا اظهر الله لنا الشدة والقسوة مرة فذلك لانه يحبنا ويريد خيرنا وتهذيبنا . ان جمود كون محبة الله شاملة لكل العالم هو الكفر والاحاد . وليس ارتكاب الخطيئة سوى عدم ثقة الخاطيء بالله . واما الكذب فهو عدم الاعتماد على سجية الله . ان الله يريد منا اكثر من كل شيء الايمان به يعني الثقة بذاته الالهية وتسليم النفس له . وبما ان الله

يفتكر ابدآ بخيرنا وبالوقت نفسه هو مملوء حبآ لنا وحنوآ
علينا فيمكننا ان نعتمد عليه في كل زمان وكل مكان
وهذا هو اساس الايمان الوطيد

انه لو تحررنا على الايمان الحقيقي فيمكننا ان نجاهه
بارزآ وظاهرآ جليآ في حياة المسيح وتعاليمه في زمان
المسيح كان الناس ماخوذين بظواهر الدين ومفتونين بها
حتى كان الدين في مذهبهم مجموعة مراسم وطقوس . وكان
الايمان عبارة عن اقرار بالله ولكن باللسان فقط فلم يكن
نصيب للدين والايمان من الاخلاق . كان الناس في المعابد
يعبدون ولكنهم كانوا يحسبون انه مهما كانت الصلاة طويلة
ومكلفة تكون مقبولة عند الله ومرغوبآ بها

اما يسوع فكان لقاء هذا يعلم ان العبادة المقبولة
لا تكون بسبب التطويل والتكلف بل بكونها جدية
وقلبية . ليس فيها تظاهر امام الناس بل مناجاة روحية
صحيحة (مت ٥: ٦ و ٦)

في ذلك الزمان كان الناس يزكون اموالهم

ويتصدقون . ولكن ذلك لم يكن منهم الا بقصد الظهور
 بين الناس بمظاهر المحسنين على الناس . فما كانوا يعملون
 لاجل الله بل لاجل لفت النظر اليهم وتمجيد الخلق اياهم .
 فامام هذا التصديق الريائي قال يسوع قوله الماثور
 (واما انتم فمتى تصدقتم فلا تجعلوا يسراكم تعلم بما فعلت
 منكم)

فما اعظم هذا الفكر الجدي الذي اعلنه يسوع عن
 صحة التصديق . كثير هم المتصدقون وبعضهم يتصدق
 بشيء كثير من ماله ولكن متى نظرنا الى الحقيقة نجد انهم
 كانوا يطلبون بذلك مدح الناس وتمجيدهم والشهرة الباطلة
 والفخر العالمي

فهذا النوع من الصدقة غير مقبول عند الله

في عصر المسيح كان اليهود يفاخرون الناس بنسبهم
 الذي يتصل بابرهم ويدعون انهم لاجل ذلك هم اهل
 ايمان فيعتمدون على شرف نسبهم وليس على شرف اخلاقهم

واعمالهم اما يسوع فكان يعلم قائلاً ليس الانتساب الى
 ابراهيم وحده يكفي لجعل الانسان اهلاً للايمان . بل ان
 التشبه بأبراهيم بطهارة الوجدان والعقيدة وتسليم النفس
 والحياة لله يجعل المرء اهلاً للايمان . لان اهلية الانسان
 للايمان لا تحصل من نسبه المتصل باحد الانبياء الكرام
 بل بطهارة القلب وصفاء الخلق

في ذلك الزمان كان الناس مفتونين بممارسة الطقوس
 وكانوا يعتنون بها جداً وباجراء المراسم الدينية ولكنهم ما
 كانوا يباليون بمعانيها الحقيقية فتلقا ذلك كان يسوع
 يعلمهم بانه يجب تنظيف داخل الوعاء وليس خارجه .
 وان قلب الانسان اذا كان طاهراً فلا ينجسه ما يدخله
 من القم ولو كان غير طاهر لان ما يدخل القم لا ينجس
 الانسان بل ما يخرج من القم . فحقاً ان هذه الآية هي
 آية صحيحة تطابق ماهية الدين وحقيقتها . اجل ان
 الطقوس والماراسم الدينية في كل مذهب هي مفيدة وجميلة
 ولكن الاعتقاد بان هذه الطقوس وحدها تكفي الانسان

للخلاص من فساد القلب وتجعله طاهر النفس هو جهل
وغباوة

فواجب على الناس ان تكون قلوبهم نقية . صافية .
ونفوسهم طاهرة من ادراك الحقد والحسد والغرور
والشهوة

ان الايمان بالله لا يحصل الا بهذه الطريقة . ان
من يؤمن ايماناً جيداً صحيحاً بوجود الله ووحدانيته لا
يمكنه ان يحمل قلبه حقداً ولا ان يظلم جاره واما الحقد
وفساد الخلق والقلب فتلك نتيجة الكفر بالله وجحود
وجوده . واما ظلم المرء جاره وخداعه اياه بالحيلة والخدعة
فذلك ثمرة عدم الافتكار بالله

ان امثال هذه الاعمال السيئة هي بمثابة انكار الله .
فالقلب المستنير بنور الله المضيء للجميع لا يبقى فيه ظلمة
ولا سيئة . الايمان بالله لا يجتمع مع الظلم وفي العدا
آن واحد ولا في قلب واحد . كما انه لا يخرج من ينبوع
الواحد في آن واحد ماء عذب مع ماء اجاج

ان المسيح حارب خصلة الرياء اكثر من محاربتة
 باقي الخصال . لان الناس كانوا في زمانه اعنادوا في حياتهم
 على الرياء والخداع . حتى انهم لم يعودوا يرون باماً في
 استعمال ريائهم في العبادة امام الله الباري فكانت
 دواخلهم تناقض ظواهرهم ونواياهم غير كلامهم واعمالهم
 غير اقوالهم فبينما يعلنون باللسان ايمانهم بالله ويصلون له
 كانوا يعملون اعمالاً تدل على افكارهم وجود الله . فهذا
 هو بلا شك الرياء الديني

اما يسوع فعلم كثيراً ضد هذا الرياء الديني ونبه
 عن مخالفته للدين واعلن ان الله يطلب منا صفاء القلب
 واخلاص السريرة وقال لنا انه يجب علينا ان نعتمد على
 الباري سبحانه ونتوكل عليه باخلاص واعتقاد وطيد
 اعتماد الولد على والده واخلاصه له . وفي هذا المعنى نفسه
 جاء الانجيل مصرحاً ان الله اب وبمعنى الابوة هذه فهم
 يسوع الدين وعلم به وعاش عليه وتعبد . ونحن نرى الايمان
 الحقيقي واضحاً جداً في حياة يسوع . فان حياته من وجهة

النظر هذه كانت انموذجاً مطابقاً للايمان الحقيقي ان
حياة المسيح من جهة الايمان بالله هي بالحقيقة اشرف حياة
واقوم سبيل

معجزات يسوع وعجائبه حيرت العقول ولكن
اعظم شيء في حياته هو ذلك الايمان بالله وتلك السجية
السامية المنبعثة عن هذا الايمان حتى برزت شخصيته اعظم
المعجزات . انه كان اعظم رجل مخلص للغاية السامية التي
يتبعها وكل انسان اذا اتبع في حياته غاية يصادف صعوبات
جمة في سبيل الوصول اليها وعلى قدر اهمية تلك الغاية
تكون اهمية العثرات والمشاكل التي يصادفها . لاجل هذا
صادف يسوع المصاعب الكثيرة العسرة في سبيله الى المبدأ
السمائي العظيم الذي كان هدفه . لا ننكر ان رجالاً
عظاماً كثيرين يتبعون مبداً عالياً ويثبتون في سيرهم وراءه
ولكن المشاكل والمصاعب اذا تجاوزت حدها تجبرهم
على الانحراف عن مبادئهم واما في حياة يسوع فاعظم
معجزة هي انه كان كلما صادف صعوبة في سبيل امله ازداد

ثباتاً ورسوخاً في مبداه فلم ينحرف قيد شعرة عن سبيله
 وظل في كل حال وزمان وتحت كل الصروف . صادقاً
 لهدفه الإلهي فما نكث لنفسه عهداً ولا تمكنت الاضطهادات
 والمضايقات من ان تحيده عن مبداه فلم يوافق معارضيهِ
 ولا تساهل حتى ولو قليلاً بتعاليمه ولا انحرف عن
 الحقيقة ولو انحرافاً جزئياً موقتماً

اتبع يسوع هدفاً سامياً سموياً وظل سائراً في سبيله
 حتى النهاية . مرة تعجب الناس من معجزاته فارادوا ان
 ينادوا به ملكاً عليهم واكنه بالحال اختفى من بينهم لانه
 لم يكن يريد عيشة الملوك وعظمة القياصرة اي ان يكون
 اعلى من الناس ومتحكماً فيهم بل كان يريد ان يعيش معهم
 ويرتبط بهم برباط الانسانية . انه جاء الدنيا لكي يخدم
 الناس وليس ليكون عليهم ملكاً وحاكماً . ما كان يرغب بان
 ينكل بهم بالقوة والقهر ولا يحب العنف والجبر بل على عكس
 ذلك كان يريد ان يستميل قلوب الناس اليه باللطف
 والمحبة . ولاجل ذلك لم يكن ممكناً ان يقبل الملك والتعظيم

والتسلط . انه كان يريد ان يكون انساناً بين الناس ومخلصاً
للساقطين وصديقاً للسافلين وهكذا كان يريد ان يعيش
معهم لاجل خلاصهم ولهذا الخلق الكريم دعي بصدق
السافلين والخطاة

وانه وان كان بمقدور يسوع ان يرقى اوج المناصب
الزمنية ويعلو ذرى بروج العظمة والابهة ويمتلك ثروة
طائلة وشهرة ملوكية وان يظهر للناس الجبروت والسلطة
والعنف والشدة الا انه لم يكن ليرغب بشيء من ذلك
ولا يميل اليه . حتى انه لم يعامل اعداءه واخصامه بشيء
من التهديد والعنف وانما كان اكبر وامضى سلاحه ضد
الصلاح وهذا كان اقوى قوة حقيقية ولم يعتمد الا على
الله فكانت جميع اعماله وتصرفاته واطوار حياته مرتكزة
على هذا الاعتقاد وهذا الاساس

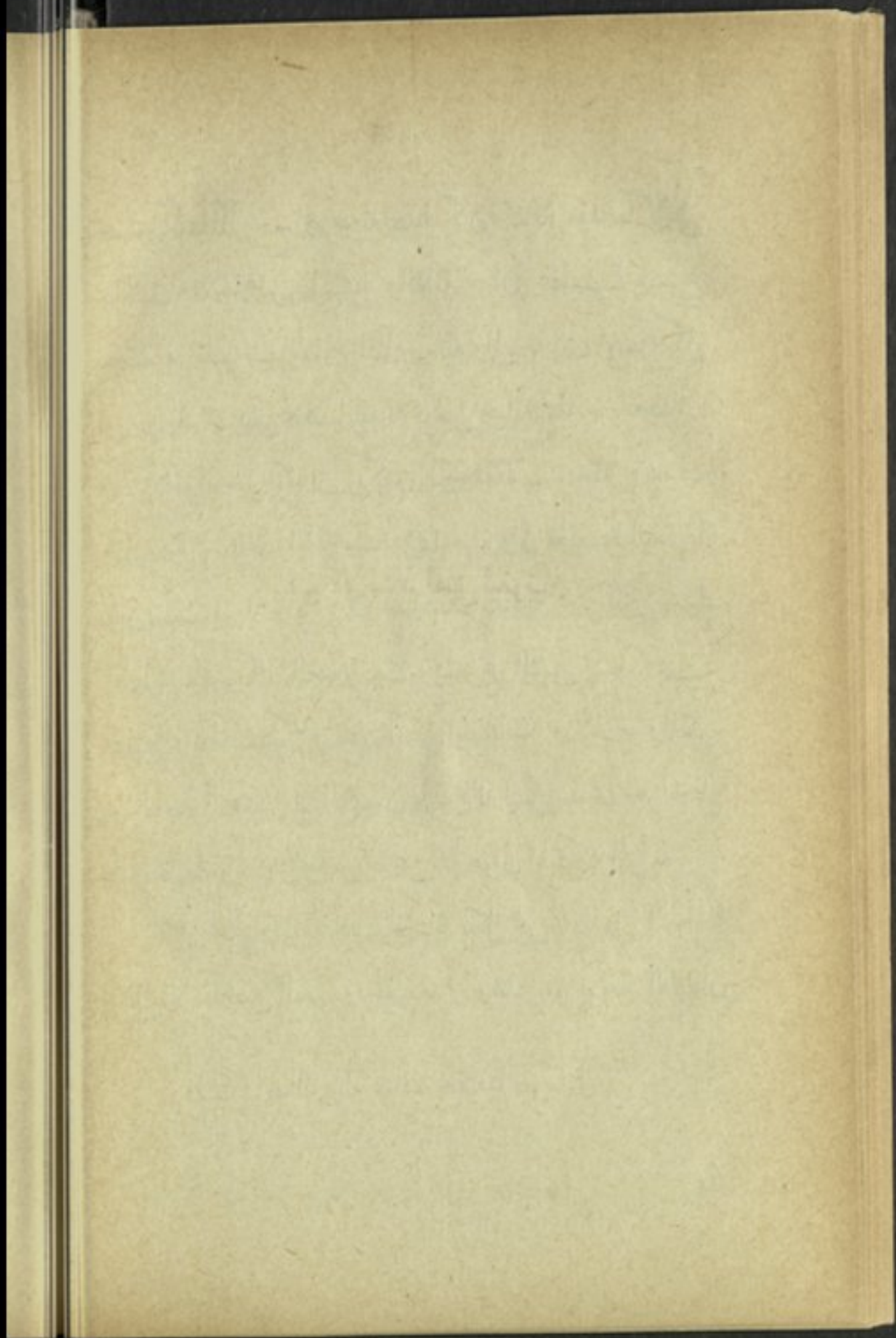
ان حياة المسيح كانت وثبة جريء الى الايمان بالله
لان الآخرين كانوا يقولون ان الله موجود ولكنهم كانوا
يعيشون كأن الله ليس موجوداً . اما يسوع فسلم كل

حياته لله لدرجة انه لم يستند على شيء سوى الباري
سبحانه وتعالى . والدليل البارز على هذه الحال نجده في
ميتته فان ميتته كانت تمثالا مجسما للايمان بالله وهيكل
ابديا للاخلاص للحقيقة

هو كان يحب الحقيقة ويتبعها دائما . وفي النهاية
قدم نفسه فداء عن الحقيقة . انه كان بإمكانه ان
ينحرف عن الحقيقة ولو موقتا ويتفق مع اخصامها .
ولكنه كان يعلم انه لو عمل ذلك لكان جعل ذاته مغلوبا
من تلقاء نفسه واضاع ذاته . فلم يكن من حقه اذا ان يمانع
بقوة او شدة . لانه كان يعلم الناس ان يحب بعضهم
بعضا وقد جاء ليكون لهم مثال محبة وشفقة . انه جاء ليعطي
الناس الحياة وليس لينكل بهم ويمحوهم من الوجود . فقال
احبوا اعداءكم . باركوا لاعنيكم . ومن كان هذا مذهبه
وتعليمه فكيف يمكنه ان يمطر اعداءه نارا وحرابا
ان كثيرا من الناس ينتقدون كيفية موت يسوع
ظانين انها لا تتفق مع قدره ولا تليق بشرفه فيموت

مصلوباً متألماً . مع ان موته هذا كان تمثالاً مقدساً لاعلى
 حالات الاخلاص للمبدأ والغاية . ان عظمة يسوع
 الحقيقية تظهر في ايمانه السامي بالله واليوم نرى ايضاً كل
 من يريد ان يبقى مخلصاً لمبداه تكون حياته مملوءة بالصعاب
 والآلام . جربوا ان يكون لكم مقصد سام وهدف
 عال . وان نتخذوا لكم مبدأً في الحياة وان تخلصوا للحقيقة
 وان تعيشوا بلا رياء ولا مدهانة . فانكم ترون انكم في
 الحال تظهر لكم الصعوبات ويشرع الناس يتعدون
 عليكم ويعاكسونكم وتقع عليكم العذابات والآلام والفقر
 والحاجة . هكذا في الايمان بالله فانه ليس سوى جراحة على
 الحياة بطهارة ونزاهة رغماً عن الاحوال المهلكة المؤلمة
 ان الايمان بالله هو المفاداة بكل شيء لاجل المحافظة
 على الاخلاص للحق والحقيقة . وهذا هو بوثقة الايمان

فليكن ايماننا بالله صافياً حقيقياً سرمداً



مكتبة الاخلاقيات الدينية

الكتاب السادس

الحكم على الطبع والنفس

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان



ترجم عن التركية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٩

1840

1841

1842

1843

1844

1845

1846

1847

1848

1849

1850

1851

1852

1853

1854

1855

1856

1857

مقدمة عامة

ان الحاجات المادية تشغل الناس في الامور الاقتصادية والاجتماعية فيعرض للافراد في حياتهم الذاتية وللعمل في حياتها الاجتماعية كثير من المسائل المشككة . وهذه المسائل التي تبدو لنا فتظنها اقتصادية او ادارية محضة هي في الحقيقة مبنية على اساسات خلقية وروحية

انما حل هذه المسائل المشككة لا يتم الا في تجديد خلقي روحي ولكي يكون الناس اكثر سعادة واوفر افادة في حياتهم الذاتية والاجتماعية وجب عليهم ان يتبعوا من وجهة نظر جديدة هذه الاساسات الخلقية والروحية ويحققوا فيها لانها المسيطرة على امور الحياة

وغايتنا ان يحصل لنا الحظ والغبطة بان ندل على السبيل المؤدي الى اعلاء مستوى كل منا شخصياً وارتقاء بلادنا الى مستوى رفيع في الحياة متحررين الحقيقة من غير ما تحيز في هذه المواضيع الكثيرة الالهية وهذه المبادئ التي هي بناء حياتنا الذاتية والاجتماعية

القوى الكامنة في الانسان

فطر الانسان مجهزة بقوى كثيرة كبرى فالجنين
بمجموعة قوى عجيبة مملوءة بطبائع خفية . وهو يشبه بذور
الشجر فكما كبر الطفل انكشفت قواه وظهرت اثمارها .
فالشاب في الثامنة عشرة او العشرين من عمره يكون
جسمه وفكره وروحه في حالة الفوران مثل القدر تجيش
على النار ماؤها فيرفع البخار غطاءها طلباً للانطلاق
والتوسع

والرجل الذي في سن الكمال تظهر فيه طبيعة الثبات
والمثانة والحنكة فلا يهيجهُ اقل شيء ولا يندفع في اي مهب
اهواء حتى انه لو جمع قواه كلها على موضوع واحد تمكن من
القيام باعمال عظيمة . والحاصل ان الانسان سواء كان
طفلاً او صبيّاً او يافعاً او كهلاً فهو في كل حال مجهزة
بقوى عظيمة واستعدادات كثيرة

الحكم على النفس

واهم امر في امور الانسان هو احسانه ادارة هذه
القوى والاستعدادات وضبطها . وهذا ما نسميه (الحكم
على النفس)

القوة العظيمة التي في بطارية كهر بائية لولا احسان
الادارة والضبط كانت تبث نارا محرقة تخرب مدينة .
والقوة الكبيرة التي لمياه النهر يستخرج منها منافع جمّة
فتدير دواليب المعامل وتسقي الزرع ولكن هذه القوة
المفيدة اذا لم نعتن بها وبضبطها واصلاح مجاريها فانها
تطمو على القرى والاراضي وتحدث اضرارا جسيمة .
وهكذا هي الطبائع والقوى الكامنة في الانسان المعدة لكل
دور من ادوار حياته . ففي جسم وروح وفكر الانسان
طبائع وقوى كثيرة عظيمة بامكانها ان تخدم المجتمع خدمات
صادقة سامية ولكنها ان لم تكن تحت النظام والضبط تنقلب
الى اشر آلات مخربة ولذلك كان الحكم على النفس اهم مسألة

تعرض للانسان في كل دور من ادوار حياته حتى انها
بالحقيقة مسألة حياة الانسان او مماته

في النزاع الدائم بين الطبع وما يتهدده من اخصام
الانسان معرض جسماً لهجوم الامراض والميكروبات
وهكذا ايضاً معرض فكرياً وروحاً الى ميكروبات شريرة
خطرة وربما تكون الاعداء المهددة الجسد اقل ضرراً
واخف خطراً من الاعداء التي تهدد حياتنا الروحية . لان
هذه الاعداء الاخلاقية التي تهدد الطفل والشاب والكهل
الرجل والمرأة الكبير مثل الصغير هي تحيط به في كل
وقت وفي كل حال فاذا تركناها وشأنها بلا قيد ولا شرط
ولا ضبط لا تزول بل بالعكس تبقى وتنمو فتربي بالمرء
الى التهلكة والخراب لذلك وجب ان نجد بحاربتها
وازالتها

من الطبيعي ان يقع الانسان في حياته في بحران
اخلاقي وقد اصيب بهذا الاضطراب اعظم الناس واقدروهم
ارادة . ولكن المسألة الاصلية هي الموقف الذي نقفه امام

ذلك . والاتجاه الذي ندفع إليه ارادتنا

الخلاصة ان الطبع هو شيء يمكن حفظه بجهاد
حقيقي . وليس من ظفر من دون حرب . فظفر الطباع
لا يتم الا بحرب اخلاقية

ليس برجل كبير ذلك الذي يندفع مع اية تيار
ويميل مع اي ريح ومن كانت هذه حاله فليس بذي
اخلاق . لان الانسان المحارب لاجل الاخلاق هو ذلك
الثابت في ساحة الحرب العظيم القوي وهذا يظفر بالطبع
الصالح فلذلك وجب علينا ان نملك مزينة الحكم على
بقومنا

في مذهب الزاهدين والمعتزلين

قد اتخذ الناس طرقاً كثيرة وسلكوها بغية الحصول
على الحكم على النفس وكان من اهم طرقهم هذه طريق
الزاهدين (الدراويز) والمعتزلين النساك الذين راوا

ان التغلب على اعداء الخلق لا يتم الا بالانقطاع عن الناس
 وبتجريد النفس في المناسك والزهد . وبشروا بمذهبهم
 وبالانزواء في زاوية او صومعة وبقطع جميع العلائق
 مع الدنيا معتقدين ان بذلك يتم لهم التغلب على النفس
 وقد عمّ مذهبهم الشرق والغرب وكثر فيهما اتباعه
 وما عيش الرهبان في الاديار في اوربا في القرون الوسطى
 وفي اسيا وعيش الدراويش في الشرق والفقراء في الهند
 الا نتيجة هذا المذهب ومتفرع عنه . ان السالكين
 هذا المذهب يمتنعون عن الطعام والشراب والتجارة
 والصناعة وينتزون في راس جبل ام وادي عميق ام
 ارض مقفرة او زاوية في معتزل (تكية) ومنهم من يؤذي
 جسده بالجلد بالسياط ومنهم من يحرق نفسه بمنعها مما تريد .
 وكانوا وما زالوا يوصون الناس باتباع هذه الامور لاجل
 التمكن من الحكم على النفس

ان هؤلاء اندفعوا في هذا المعتقد وسلكوه بدافع
 عقيدة مغلوطة لانهم فهموا غلطاً منبع الشر والفساد . هم

ظنوا ان الشر والفساد يصدر ينبوعهما من المحيط وحده .
 لذلك ظنوا انهم بقطع علاقاتهم مع المحيط الخارجي وباذية
 الجسد تحصل النفس على التهذيب والتربية . مع ان هذا
 الفكر من اساسه مغلوط . نعم انه لا ينكر ان في محيطنا
 شروراً كثيرة مما يمكن ان يؤثر علينا . ولكن تغلب هذه
 الشرور علينا ناشي عن انها كنا يميلنا الباطنة . اصل
 الشر ليس في ظاهرنا بل في داخلنا .

قد يحدث للانسان تجربة مثل يوسف ولكنه اذا لم
 يكن اسير ميوله الباطنة يبقى حاكماً كل الحكم على نفسه
 مثل يوسف ايضاً . ان ميكروب العدوى الجسدية يهجم
 من الخارج على الجسد فتى كان الجسم مسلحاً بالقوى
 المضادة للهرض الدافعة له لا يتمكن الميكروب من الاضرار
 بالجسم . فالاعتزال والزهد لم يحلا قضية الحكم على
 النفس

فلنسجن ما شئنا ذواتنا المدة التي نريد وفي المكان
 الذي نريد من دير او زاوية او منسك او صومعة

فذلك لا يمنع انها كنا يميلونا وشهواتنا ولا يكتب لنا
الغلبة عليها

ان منبع الفساد ليس امرأ خارجياً بل هو في رغائبنا
وحاساتنا . ان داخلنا مملوء من ميكروبات الميول الى الزنا .
والفجور . والحسد . والطمع . والخداع وما شاكل ذلك من
الشُرور المعششة في نفوسنا . لذلك كان اصل المسألة ان
ننظف داخلنا ونحارب الشرور الباطنية بضبط النفس
وامتلاك الارادة والا فلا تكون العزلة والزهد علاجاً
مفيداً . وان اعظم اصحاب الاخلاق الحسنة لم يكونوا من
اولئك المعتزلين والزاهدين . ان عظمة الاخلاق وكبرها
ليس في الفرار من الحياة في الدنيا بل بالحكم على
النفس في القيام بالواجبات الانسانية وتحمل مسؤولية
العمل بين الناس

في منازعاتنا مع السيئات وفي الغايات

ان الغاية التي يتوخاها الانسان من حياته هي نقطة

مهمة في بحث التنازع مع السيئات . فمن جرى وراء
 غاية صالحة سامية يحكي قلعة حصينة لا تقدر السيئات على
 فتحها . وبالعكس ذاك الذي يجري وراء غاية سافلة
 شريرة فإنه تنصر عليه السيئات ويخضع لسلطانها . وهذا
 هو نتيجة طبيعية لقوانين الانسانية . قلنا سابقاً ان كلاً
 منا يشبه مخزناً مملوءاً من القوى البشرية فالحرص الذي
 هو عدم القناعة احد مظاهر تلك القوى التي ليست في
 اصلها صالحة ولا شريرة لكن اذا اندفعت في مجرى
 صالح صلحت النتيجة . وان اندفعت في مجرى سيء
 ساءت النتيجة . فالمسألة الاصلية من نقطة النظر الانساني
 هي ان يحسن المرء توجيه طبيعته وميله الى غاية صالحة . ليس
 بالامكان ان نمحو ميولنا الغريزية التي هي بعض موجبات
 الحياة ونتائج التركيب الجسدي ولا ان نضغط على ميولنا
 المذكورة ضغطاً غير طبيعي . بل ما نبذله من جهد لمحو
 هذه الميول قد يحدث فينا اخلاً في النظام الجسدي
 والروحي قد يؤدي الى جنون والجنون ليس من فقدان الميول

الطبيعية بل من سوء ادارتنا هذه الميول فنضيع التوازن
كالربان الذي يفلت من يديه سكان المركب . بناء عليه كان
لا بد من ان تجد هذه الميول مخرجاً لها فتعمل عملها
ونتخذ مجراها

الغايات السافلة تضعفنا

ليس لنا في تدريب هذه الغايات سوى وجهتين .
فاما ان نחנו رؤوسنا لاحكام الميول والشهوات ونخضع
لها ونجاريها في مطالبيها السافلة كما فعل كثير ممن سلكوا
هذا المسلك سواء كان عن علم او جهل فباتوا اسرى
ميولهم عبيد شهواتهم محبين الذات عباد المال مغرورين
بنفوسهم . زناة غصابي حسودين على كل شيء طماعين بكل
شيء مغتاظين من كل شيء متكبرين في كل آن . محكومين
من نفسانيتهم

فالبرهان على كون هذا المسلك لا يوافق الطبيعة

الانسانية وميولها هو كون هذا المسلك يودي الى محو
 شخصيتنا وهلاكنا . فالناس ليس فيهم من يريد عن
 قلب وميل ان يعاشر الطماعين والانانيين الذين ينفر من
 معاشرتهم حتى اقرب الناس اليهم عندئذ يبقى هذا الانسان
 وحده في هذه الدنيا فيقضي العمر معذباً لا يسر بشيء
 ومن كانت هذه حاله يكون قد اسرف باشد قواه وخيرها
 فيؤدي به سلوكه هذا الى الضعف وبالنهاية الى الموت .
 هذا الانسان يشبه من يضرم النار في مسكنه ويحرق
 ثروته فيبقى اخيراً بين خرائب العمر ملولاً حزيناً

الغاية السامية تقويننا

واما الوجهة الثانية لميولنا فهي استعمالنا هذه الميول في
 مقاصد وغايات شريفة صالحة . فالمرأة يمكنها ان تولف
 عائلة وتربي اولادها ويمكنها ان تبذل حنوها وشفقتها على
 المرضى والجرحى فتعالجهم او ان تهذب الاطفال في مكتب

او مدرسة فتعيش من عرق جبينها شريفة وتساعد اهلها ما
امكن من جناها الطاهر

والشاب كذلك فانه بدلاً من اضاءة صحته ونشاطه
في امرافه في الشهوات النفسانية يمكنه ان يصرف قواه
في خدمة صالحة لوطنه وابناء جنسه . ان اكثر مشاهير
الناس ضبطوا قوى شبابهم فصرفوها في غايات سامية
مثلاً (اديسون) المخترع الشهير لما كان بعد صغيراً طالع
جميع الكتب المنظمة على رفوف مكتبة مدينة ديترويت
والبالغ ارتفاعها خمسة امتار

والشاعر الانكليزي (كيتس) المشهور لما كان
في الرابعة عشرة من عمره نظم الشعر وفي الحادية والعشرين
ارسل اشهر قصائده ونشرها

والفيلسوف الاميركاني فرنكلين لما كان في الثالثة
عشرة كان يقضي ليله بمطالعة القصائد والدواوين ثم صار
ينظم الشعر وبيعه في شوارع بوستون

(ورويبرت فولطون) كان قبل السابعة عشرة من
 عمره رساماً وشاعراً وجغرسن كان في السابعة عشرة
 يطالع مدة احدى عشرة ساعة كل يوم
 والفيلسوف هربرت سبنسر اخذ شهادة الهندسة
 في السابعة عشرة من عمره وباسكال الفرنسي كتب
 في السادسة عشرة مباحثه الشائقة في الرياضيات وفي
 التاسعة عشرة اخترع الآلة الحاسبة . والاميرال نلسون
 قاد سفينة حربية اذ كان عمره ست عشرة سنة ونجاها
 والجنرال الفرنسي مونتكام والجنرال الانكليزي وولف
 اشتهرا في الحروب لما كان كل منهما في السادسة عشرة
 من عمره . وجان دارك المشهورة في دفاعها وحروبها عن
 وطنها ابتدأت بافكارها الوطنية السامية وهي في الثالثة عشرة
 من عمرها وجوزيف كونراد بعد ان كان بلغ الاحدى
 والعشرين من عمره وهو لا يعرف شيئاً من اللغة الانكليزية
 طالع وتعلم هذه اللغة وطارت شهرته في عالم الادب الانكليزي
 وغاليليو اتم تحصيل الطب في السابعة عشرة من العمر .

وهكصلي قرأ كتباً عديدة قبل بلوغه السابعة عشرة
كثير من الموسيقيين والفنانين ابتدأت شهرتهم في
التاسعة عشرة من عمرهم

هذا يدل على ان الانسان اذا ساق قواه الطبيعية
في مسالك قديمة يمكنه ان يعمل اعمالاً كبيرة مفيدة وياقي
بنتائج باهرة خارقة العادة

من الخامسة عشرة الى العشرين من سني الحياة خطر
على الشاب حيث يكون تحت تأثيرات جسدية وعقلية
وخصوصاً في حالات هيجانه . فلا بدّ اذن لكل شاب
اختيار احدى الطريقين المذكورتين

فاما ان تجري قوته وملكته في مجرى صالح او ان
يدفعها في مجرى مهلك مؤدّ الى الشر والموت . فكم من
الشباب ذهبوا ضحية المقاصد المضرة السافلة مع انه كان
بامكانهم ان يستفيدوا علماً وفناً لو سلكوا المسلك الاخر
فسعيد هو ذلك الشاب الذي يجد في هذا العمر لنفسه
سبيلاً صالحاً ليسلكه ويدفع جميع قواه النفسية الى ذلك

الهدف السامي ويوجه نظره فيحكم على نفسه ويتسلط
على ميوله ويقبضها

حاذر عشراء السوء

المعاشرة مسألة مهمة اخرى لان تأثير المعاشرة والمحيط
على سجية المرء مهم جداً . فمن المعاشرة ما يرشد الانسان
الى سواء السبيل ومنها ما يخرج عن هداه فيضل
ليس سهلاً على الانسان ان يقاوم ميله الى شرب
الخمر لما يرتاد مجالس السكارى ويعاشرهم . ان كثيراً
من المبتلين بداء الشرب كانت بداية شربهم كاماً واحدة
شربوها اكراماً لخاطر صديق الخ عليهم فما شاءوا
مخالفتة

ان الشرط الاول ليتمكن المرء من الحكم على نفسه
هو الابتعاد عن عشراء السوء وقطع علاقته المضرة بهم .
فاحذر عشراء السوء والكتب والجرائد والصور
والحكايات والروايات والمناظر المفسدة فكم اثرت فينا وفي

اخلاقنا الامثلة والحكايات الرديئة التي كنا نسمعها في
طفولتنا والقصص التي كنا نطالعها في الخفاء في المدرسة
ان امثال هذا من الامور يفسد تخیلاتنا ويسم افكارنا
ويضعف ارادتنا فلا تقوى على ادارة ميولنا والتحكم
عليها

فكل كتاب مفسد نقراه وكل كلمة شريرة نسمعها
وكل رسم رديء ننظر اليه تفتج في سور حاكمتنا على
نفسنا ثلثة وتحدث فيه تهدماً

احسن انتخاب معاشر بك

ولكن هذا وحده لا يكفي لان الحذر من الشر
لا يكفي لوحده لوقاية الاخلاق بل مع الاحتراز من
الشر يجب الاتجاه نحو الخير

ليس في العالم فراغ ولا يمكن ان يكون فراغ . فاذا
افرغت محلاً من المادة يملأه الهواء واذا طردت عن فكرك
بعض الميول المضرة تجده امتلاً حالاً بميول اخرى وربما

تهاجمة ميول أكثر ضرراً وادنى شرفاً فما تكاد تنجو من
عدو إلا وتقع في يد عدو أشد

لذلك كان السبيل الاقوم للتخلص من الشر هو
الاتجاه نحو الخير واعتناقه وليس فقط طرد الشر والابتعاد
عنه . ان سبيلك للتخلص من الظلمة هو فتح النوافذ
التي لجهة الشمس . والتخلص من الهواء الفاسد يتم بتنشق
الهواء الطاهر فاتجه الى الخير يهرب الشر من تلقاء نفسه
اقتبل النور فيندفع الظلام . هذه هي حقائق راهنة
واساسية في ظهور السجايا واكتشافها

ان الصحة الجيدة انما تكون لمن يعيش في الهواء
النقي والماكل المغذي والرياضة الجيدة وهكذا السجية
الصالحة فانما تكون في المعاشرة النزيهة والفكر المهذب
والاعتياد المفيد . لا يكفي بان تجتهد بان لا تعمل
شراً بل يجب عليك ايضاً ان تداوم على التماس مع الخير
ومرافقته وان تكون صالحاً وان تتأدب بادب الصالحين
الحسني الاخلاق

ان شباناً كثيرين خربت اخلاقهم وساءت بسبب
 انهم كانوا من صغرهم يعاشرون الاردياء الخلق ويسمعون
 كلمات بذیة ويطالعون كتباً مضرّة فسهيد ذلك الذي
 يولد في احضان عائلة صالحة وينمو في محيط صالح
 ويدرس في مدرسة صالحة ويعاشر اشخاصاً صالحين

اعتد العادات الصالحة . وكن نجيب الاطوار

من المسائل الهامة في باب الحكم على النفس مسألة
 اكتساب العادات الصالحة فمن لم يعتد على العيش المستقيم
 وعلى الافكار النزيهة القويمة تغلب عليه حالاً اهواؤه
 فلا يمكنه ان يحكم على نفسه وبالعكس من يعتاد المعاملات
 القويمة والافكار المصيبة الصالحة فانه يصعب جداً على
 اهوائه ان تستميله

فكما ان الانسان الذي يعتاد على العيشة في الهواء
 النقي والغذاء المفيد النظيف يمكن صحته ان تقاوم هجوم
 الامراض هكذا من يعتاد على طهارة الخلق تكون روحه

قادرة على مقاومة الاخلاق الفاسدة . فلتكن اطوارنا
 قوية ونجيبة ولطيفة . ولا نكون سريعي الغضب حمقى .
 ولنجتهد بان نفسر الامور لجهة مفيدة صالحة عوضاً من
 تفسيرها لجهات شريرة . ولنصبر على من يسيء الينا
 ولتقابل الدعاء الشرير بالدعاء الصالح وفي معاشرتنا
 للناس يجب ان نبتعد عن اثاره الخلافات والمنازعات
 وان نكون وايامهم في محبة وانتظام . ولنكن انموذجاً
 للحلم والتواضع ولا نتكبر ولا نفتخر بانفسنا . والحاصل
 فليعقب من اخلاقنا واطوارنا اريج الظرف والحلم والصبر
 واللفظ حتى اذا اعتدنا هذه العادات الصالحة فتحكم
 على انفسنا

فلتكن تصوراتك نزيهة

كذلك لنعتد على التصورات النزيهة والتخيلات
 الادبية لان اصل ينبوع الشر هو التصورات والتخيلات
 الباطنة . وليست الافعال الا ثمار هذه التصورات . لهذا

السبب كان اهم ما يجب علينا هو الانتباه الى احوالنا
الداخلية وتهذيب الباطن . فعلينا ان نعتاد طرد التصورات
الرديئة ونقبل الصالحة

ان الانسان قبل ان يرتكب جناية القتل يمتلي*
من حاسات الغضب والحقد والعداوة وكثيراً ما يكون
فعل القتل متولداً عن هذه الحاسات . ان الساقطين في
معصية الزنا والفحش انما يبتلون اولاً بالتصورات والميول
الى هذه فيتخيلونها اولاً ومن ثم تغلب عليهم التجربة .
ان كل انسان قبل ان يعمل الشر فعلاً يعملهُ تصوراً
ولذلك يقع سريعاً في يديه . فمن هذه الايضاحات
يظهر انه يلزمنا ان نتغلب اولاً على تصوراتنا وميولنا
الباطنة

ومن العبث ان نتمكن من الظفر الخارجي على هذا
العدو بعد ان يكون هو تغلب علينا باطناً . بناءً عليه
فلنعتد على الافكار والميول والاحساسات الصالحة

إذا رغبت ان تظل بعيداً عن الجناية فلا تضمر
 عداً وشرّاً بل بالعكس اضمم الصداقة والمحبة للجميع .
 عندئذ لا يفعل منك احد . وإذا رغبت ان لا تسقط
 في الفحش والزنا فانظر لمن حوالبك بعين نقيّة وقلب
 طاهر

مثال

اخرج معلم تلاميذه ذات يوم مثلج وامرهم بان
 يركضوا على الثلج واعدّ بجائزة لمن يترك وراءه خطأ
 مستقيماً في الثلج فاخذ الطلبة كلهم يركضون حتى
 صدر الامر بالوقوف فوققوا ولما التفتوا الى الوراء راوا
 ان كلاً منهم قد ترك خلفه خطأ كثير الاعوجاج الا ان
 واحداً ترك خطأ مستقيماً فسأل المعلم الطلبة عن كيف
 كانوا يركضون فاجابوه انهم كانوا ينظرون الى ارجلهم
 مجتهدين ان يركضوا على خط مستقيم وقد تعجبوا من
 من عدم تركهم اثرأ مستقيماً

فسال التلميذ الذي فاز بالجائزة فاجاب انه اتخذ
 الشجرة التي امامهم هدفاً وسدد اليها خطاه فتمكن من
 ترك اثر مستقيم وراءه على الثلج

النتيجة

ان اردت ان تربح جائزة الاخلاق فسدد خطاك
 الى هدف عالٍ شريف

مكتبة الاخلاقيات الدينية

الكتاب السابع

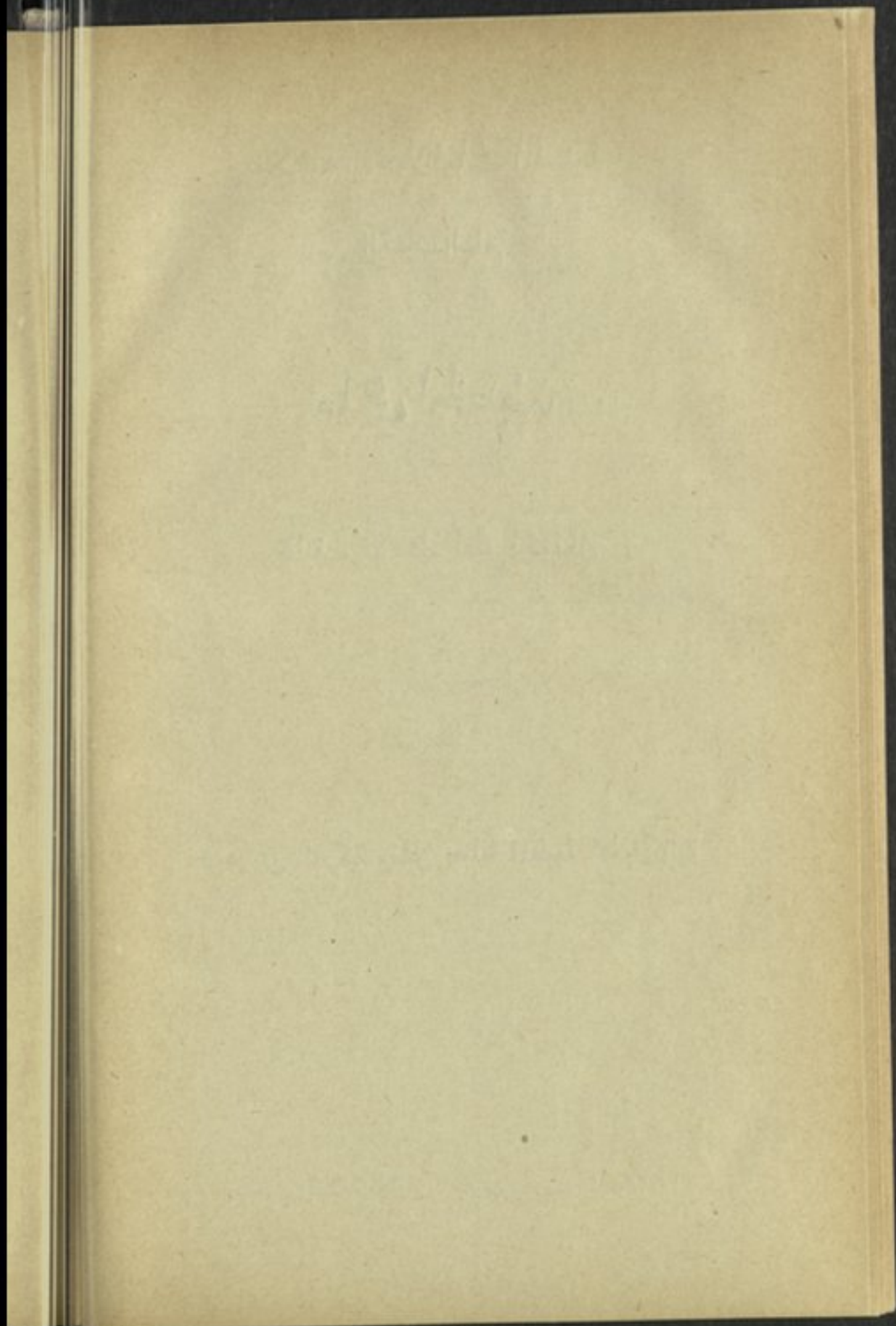
ما هي الخطيئة

تأليف الاستاذ لطفي ليفونيان



ترجم عن التركية ونشر بعناية المطبعة الاميركانية

طبع في المطبعة الاميركانية في بيروت سنة ١٩٢٩



مقدمة عامة

ان الحاجات المادية تشغل الناس في الامور الاقتصادية والاجتماعية فيعرض للافراد في حياتهم الذاتية وللعمل في حياتها الاجتماعية كثير من المسائل المشككة . وهذه المسائل التي تبدو لنا فنظنها اقتصادية او ادارية محضة هي في الحقيقة مبنية على اساسات خلقية وروحية

انما حل هذه المسائل المشككة لا يتم الا في تجديد خلقي روحي ولكي يكون الناس اكثر سعادة واوفر افادة في حياتهم الذاتية والاجتماعية وجب عليهم ان يتتبعوا من وجهة نظر جديدة هذه الاساسات الخلقية والروحية ويحققوا فيها لانها المسيطرة على امور الحياة

وغايتنا ان يحصل لنا الحظ والغبطة بان ندل على السبيل المؤدي الى اعلاء مستوى كل منا شخصياً وارتقاء بلادنا الى مستوى رفيع في الحياة متحررين الحقيقة من غير ما تحيز في هذه المواضيع الكثيرة الالهية وهذه المبادئ التي هي بناء حياتنا الذاتية والاجتماعية

ما هي الخطيئة

كل يريد ان يكون جيداً وان يعيش جيداً وما
من احد يسر بان يكون رديئاً حتى الاشخاص الاردياء
انفسهم يسرون بان يكون لهم اسم جيد بين الناس
ففي الاخلاق تفرق عبارات الناس وقياساتهم
فتنوع بمقتضى المحيط والتربية ولكن كل امرئ يريد
بالنسبة الى المقياس الذي يعيش نفسه فيه ان يكون جيداً
وهذا شعور طبيعي في الناس فكلهم يريد ان يكون كاملاً
وان يظهر للناس كاملاً

ولكن افعالنا تناقض هذا الشعور الباطني فبينما نحن
نرغب ان نعيش صالحين نجد الرذالة متسلطة في نفوسنا
وبينما نريد ان نتحلى بصفات النزاهة والحاسات الشريفة
تغلب علينا الحاسات الرديئة . نطلب الخير فنسقط في
الشر . فلا توافق افعالنا آمالنا ولهذا السبب يكون فينا

دائماً شعور الطمع والتذمر . فلا نكون ذلك الانسان
الذي نريد ان نكون فنضارع آلة موسيقية غير مدوزنة .
جميلة من الخارج واما اوتارها من الداخل فمخرّبة معطلة
دهانها وصباغها متلّمعان واما انغامها فغير منسقة
ولا مؤثرة

واهم مسألة في حياة الانسان هي مسألة عدم النسق
والدوزان هذا وما الخطيئة غير هذا العطل والتخريب
الاخلاقي . فمن كان اسيراً للشهوات نفسه لا يمكنه ان
يعيش عيشة الانسان . فمهما كان عمله ومقامه فان الفساد
يدب في باطنه وينخر عظامه

فطالب العلم الذي تغلب عليه الخطيئة لا يحكم على
نفسه ولا يجمع عقله فيقصر في دروسه والخطيئة تفسد
افكاره وتضر بصحته . وهكذا الرجل المتعبد للخطيئة
فانه يعجز عن مقاومة صعوبات الحياة فلا يقدر على
امعان الفكر براحة ولا على تفهم حقائق الامور لان

البغض والغرض وما اليهما من المشاعر السافلة ترمي بنا
الى قرارات سافلة

الخطيئة مرض اخلاقي . نوع من الفالج الاخلاقي
الذي يبطل رجوليتنا ويعطلنا منها

فالابتعاد عن عدم الانتظام الاخلاقي هذا وقتل
ميكروب عدو هذا المرض ها بالنظر لكل انسان
باهمية الثروة والصحة والتعليم والتربية

الخطيئة والحياة الاجتماعية

هذه المسألة مهمة في حياة المجتمع اهميتها في حياة
الفرد فالافراد الذين يؤلفون مجتمعاً اذا كانوا كذبة
وسئي الاخلاق يتعاملون بالطمع والحسد ويفتكرون
بالمضرة

فعندها نتعطل حياة ذلك المجتمع وتجارته وانسه
ورفاهه لانه يجب لاجل ابقاء الجماعة ان تحتكم في افرادها

الثقة والاعتماد والاخلاق الصالحة والا فلا نفع للقوانين
مهما كانت راقية لان الناس يحتالون على القانون ويجدون
في كل حال سبيلاً للتملص من مسؤوليتهم مخالفتهم
القانون

واما الحيلة فهي تؤذي بالصحة الاجتماعية : ان
مسألة الخطية هي مسألة الاخلاق لان الاخلاق هي الحجر
الاساسي في بناء الاجتماع . وبناءً عليه كانت هذه المسألة
هامة جداً في شأن ترقى المجتمع البشري

في الاخلاق والاورام الدينية

ان في الاخلاق رأياً مخطئاً نشأ عن توحيد
الاخلاق مع الاوامر الدينية . ان في الدين اوامر
ونواهي تتضمن عمل شيء او عدم عمله

والناس على قدر تفهمهم تلك الاوامر وتفسيرهم
اياها بطبيعتها طاعة عمياء . وهكذا قد ظن بعضهم الاخلاق
اورام مسموية منزلة فهي عندهم بدرجة الاوامر المطلقة

فكان من ذلك ان من اراد تجنب الاوامر الدينية
والاستبداد الديني يضطر الى هجر الاخلاق
مع انه يلزم اعمال الفكرة والتمعن جيداً فانه وان
كان في النظم الدينية قوانين اخلاقية فالاخلاق هي فارقة
عنها بانها طبيعية واصلية في الانسان فمن المبادئ
الاخلاقية المقررة انه يلزمنا مراعاة الاخلاق لا لانها
منزلة في كتاب بل لانها شيء طبيعي في الانسان نتج عن
اهاله تدني الانسان وسقوطه

فالمتكلم بالكذب يسقط ذاته من ذاته ويسلب
نفسه حيثيتها الانسانية وهكذا الخطايا الاخرى كالطمع
والحسد والزنا فانها تخل بشرف الانسانية وتنزل مرتبتها
لدركة الحشرات

فالمبادئ الاخلاقية ليست اوامر استبدادية صدرت
على ارادة مصدرها ومشيتها بل هي مبادئ سلحتنا بها
الطبيعة وتاصلت في نفوسنا فلا يمكننا انكارها عندما
نريد

ان المبادئ الاخلاقية هي عصارة حياتنا الانسانية
فمن انكر الاخلاق سقط من صفته الانسانية ومن عاش
بلا اخلاق فهو ميت في نظر الانسانية

في التعليم عن الجنة وجنم

في بعض الانظمة الدينية يوجد تعليم عن الجنة وجنم
وكثير من الناس قد فهموا هذا التعليم على الوجه الاتي :
فكأن الانسان باعتقادهم حر بان يعيش كيفما شاء
في هذه الدنيا حتى اذا مات يتخلص من العذاب ويحظى
بالنعمة الموعود بها في الاخرة بشفاة نبي يلتجى اليه .
فهذه العقيدة قد ساءت كثيراً من الناس الى التراخي
والتكاسل في مراعاة شروط الاخلاق فهولاء لا يتحرون
الحق من الظلم او المعتدل من المعوج
منهم اذا راوا لزوماً للصدق صدقوا او للكذب
كذبوا فيعملون ما يحتاجون الى عمله وفي النهاية لهم امل
بطريق موصلة الى الجنة

فبالنظر لهذه العقيدة أصبحت الجنة والنار أشبه
بملك تحت إدارة مطلقة يديره اله مستبد وهذا الاله
المستبد يرسل من شاء الى النار ومن شاء الى الجنة

ان هذا خطأ في العقيدة فالجنة والنار ليستا كذلك .
ان الجنة والنار حالة نعيش في وسطها ، فالسيء الاخلاق
والسارق والمحتال والظالم والغادر هم بالذات في وسط
جهنم يعيشون

ان هولاء لا يرون السعادة في حياتهم بل يحسون
في عذاب دائم اليم . فلا يقدررون على الحياة ناصعي الجبين
طاهري الايدي

فما ارتكبوه من الاثام يعذبهم دائماً وهم انفسهم
يظلمون ويلقون بها الى النار بايديهم . فالحال التي هم
فيها هي حال جهنم الابدية وانك لتجد امثلة كثيرة لذلك
في كتب شكسبير وملتون ودانته ومن في مقامهم من
كبار الادباء

فان (مكبث) الذي دفعه الحسد والطمع الى قتل
ملكه كان رغماً عن جهده في تطهير ضميره لا يجد مع
ايديهِ المملوطة بالدم راحة في اي محل أوى اليه

واما المرأة التي دفعت (مكبث) الى ارتكاب هذه
الجرمة فانها كانت لا تذوق راحة النوم تقضي
حياتها شريدة طريدة الهم والعذاب تفتش عن راحة
الوجدان فلا تجدها

واما الشيطان العاصي الذي ورد ذكره في قصائد
ملتون فكان في جهنم ينظر الى ما حواليه ويقول « جهنم
في كل محل جهنم » ثم يلتفت الى نفسه ويقول في ذاته
كلمة محقة وهي « انا ذاتي جهنم »

مبادئ الاخلاق لا تتغير

ولا يمكننا ان نتلاعب بها كيفما شئنا . ان انسانيتنا
تجبرنا على مراعاة تلك المبادئ فلا تقدر على انكار

الوجدان واذا انكرنا فنندم ونتعذب . الاخلاق امر طبيعي
 في الانسان . الاخلاق ليست قيود الامر التي تقيد
 الانسان بل هي الاجنحة التي ترفع الانسان وتطير به
 الى الاعالي . فاذا تكسرت هذه الاجنحة نستقط
 للحضيض ونتحطم واذا قويناهذه الاجنحة نرتفع ونرتقي
 ونشعر بالسعادة

الاخلاق امر معقول واما ما ليس معقولا فهو عدم الاخلاق

يظن البعض ان الاخلاق عبارة عن اشياء عتيقة
 رثة او مبادئ مخصوصة لعصور الجهل فلا تلزم مراعاتها
 في عصر المدنية والرفي . لان المدنية هي الحرية والحرية
 هي الاعتناق من كل قيد وبناء عليه فان من حق
 كل فرد ان يتملص من تلك القيود والمبادئ العتيقة
 ويعمل ما يشاء وما يريد لان كل واحد يجب ان يكون
 حراً في فعله وقوله فلذلك هم يقولون بطرح مبادئ
 الاخلاق وهجرها

ان (كانت) وضع عياراً يمكن ان يعلم منه اذا كان
 ما نعمله قوياً او غير قويم حيث قال : « تصرف تصرفاً
 يمكن ان يكون لعموم الناس مبدأً عاماً حيث اذا عملوا به
 كلهم يسود العالم وحدة النظام »

فلو درسنا مبادئ الاخلاق على هذه النظرية
 وجدنا ان مبادئ الاخلاق ليست عبارة عن اشياء
 عتقية رثة بل عبارة عن مبادئ معقولة . خذ لك مثلاً
 قضية الكذب فلو قبلنا بان يكون مبدأً عاماً وصار كل
 كلام الناس كذباً فهل يبقى بالامكان ان نعيش في هذه
 الدنيا ؟ بناءً عليه فان الكذب غير معقول وهو مخالف
 للمنطق وللانسانية

اما الصدق فهو معقول وتجب مراعاته في البدوي
 والحضري في العالم والجاهل في الافريقي والاوربي
 والغربي والشرقي على السواء في كل زمان وكل مكان
 وقس على ذلك مبدأً الانتحار فان بعضهم اجازوا

هذا المبدأ على أنه في كل حال هو مبدأ غير معقول .
لأنه لو عم هذا المبدأ الجميع وقبله كل الناس فتصدى
كل انسان الى الانتحار تسمي الارض خراباً وتمحى
البشرية

فبناءً عليه كان التمسك بالحياة مبدأً معقولاً
ووجب على كل انسان ان يسعى لاجل بقائه حياً

وعلى ذلك قس مبدأ الموانسة والاحترام فانه لو عم
الخلق مبدأً مجافاة الناس وعدم احترامهم لعم الدنيا وحشة
وجفاء ولذلك كان مبدأ الموانسة والاحترام معقولاً وتجب
مراعاته في كل مكان وزمان وهكذا هو مبدأ الشرف
والناموس والعرض وقدمية حياة العائلة فلو فقد الناس
الشعور بالشرف والناموس وانكروا قداسة العائلة والمحافظة
على العرض فقام كل ذكر او انثى يعمل ما شاء ويخالف
هذه المبادئ لامست الدنيا عبارة عن دار فحش وامعة
وبانت الحياة فحشاً وفسقاً

لذلك كان مبدأ الناموس والعرض مقدساً ومعقولاً
 ووجب اتباعه في كل مكان وكل زمان

من هذه الامثلة يفهم بوضوح ان التحلي بالاخلاق
 الصالحة في حياتنا امر موافق للعقل والانسانية وان حسن
 الخلق والعقل صنوان وانها لا يناقض احدهما الآخر
 بل هما متوافقان كل التوافق .

ولذلك فان المدنية والتهديب يمكنهما ان يسيرا جنباً
 لجنب بل يجب ان يسيرا كذلك لان كلا منهما متم
 للآخر فلا يمكن للانسان في ترقيه ان يطرح مبادئ
 الاخلاق ويزدريها لانها اساس حياته الشخصية
 والاجتماعية . فالاخلاق تعلي البشرية واما الرذيلة فتخرب
 الانسانية او ليست المصائب البشرية الحاضرة نتيجة
 لعدم رعاية مبادئ الاخلاق ؟

ان اعلى واشرف مبادئ الاخلاق مبدأ المحبة
 الذي يوجب على كل انسان ان يحب الآخرين وان يسعى

لخيرهم . اما الرذيلة فهي انكار هذا المبدأ . هي البغضاء
التي من نتائجها الحقد والعداء والتنازع والمقاتلة . اما
نتيجة المحبة فالسلام والسعادة وفي تطبيق هذا المبدأ
الصالح يظهر لك جلياً ان حسن الاخلاق امر معقول
وانساني

نضرب لك مثلاً: كان اخوان زارعان وكان في زمن
الحصاد ان جمع كل موسم في بيدر واكمل عمل دراسته
على ان ينقله في اليوم الثاني الى بيته . وكان احدهما رب
عائلة والاخر عازباً ففي المساء قال العازب في نفسه ان
اخي رب عائلة وانا وحدي فيجب ان اعطيه قسماً من
قمحي فانقله ليلاً واضعه له فوق قمحه فلا يعلم بذلك
فيخجلني بالشكر على واجب . وهكذا قال المتزوج في نفسه
ان اخي عازب وعليه ان يتزوج وسيتكبد مصاريف فعلي
ان اساعده بان اضيف على قمحه قسماً من قمحي وقرر ان
ينهض في الليل فيضيف من قمحه على قمح اخيه . وما ان
اظمم الليل حتى قام كل منهما الى وعاء وملاً وحمله ذاهباً

الى ناحية بيدر اخيه فالتقيا فجاة وهما في هذه الحال فتعانقا
 وشكر كل الآخر وهكذا كان السلام والمحبة سائدين
 في تلك العائلة

فلو فرضنا ان عوضاً عن هذه العاطفة الشريفة كان
 سائداً على هذين الاخوين البغض والعداء ومال كل
 منهما الى اخذ مال الآخر وسرقته فكم من المؤسفات
 التي اخفها الجوع كانت تقع بينهما . ان الدنيا مملوءة من
 الخيرات والنعم وليست مصائب العالم نتيجة نقصان
 الخيرات والنعم بل نتيجة انكار الناس لمبدأ المحبة
 الشريف

فلو ان الناس تعاملوا بمبادئ المحبة عوضاً من الطمع
 والحسد لاصبحت الارض جنة وكان كل انسان سعيداً .
 بناءً عليه فان مبدأ المحبة معقول واما الحسد والطمع
 والحقد والتغرض فليست بامور معقولة ففي كل مكان
 وكل زمان يجب ان يتعامل الناس بالمحبة وان يسود
 الدنيا هذا المبدأ الشريف

الخطيئة جهالة

اننا اذا غيرنا الخطيئة في عيار (كانت) نجدها
 محض جهالة وحمق . فانها تدل على عدم معرفتنا منفعتنا .
 المرء يحصد ما زرع ومن القواعد العمومية ان لكل عمل
 عكس عمل (او رد فعل) . فاذا نحن عاملنا الناس بالبغض
 والحقدهم والعداء فعلينا ان نتظر منهم بغضاً وحقداً وعداء .
 اذا استسلمنا للشهوات الحيوانية فعلينا ان نتظر الامراض
 فتسود علينا الاوجاع والشقاء . ان الانسان هو حاصل
 اعماله وعوائده فاي شيء وجهنا اليه آمالنا ورغائبنا فنحن
 الى ذلك واصلون ولنتائج حاصدون وهو يظهر في
 اعمالنا وحر كائننا . فانت لا تجد ما لا تفتش عنه . ان سببايانا
 وشخصيتنا مؤلفة من غاياتنا وآمالنا حيث تقوى تلك
 الشواغر فينا حتى درجة العادة وما العادة اذا تملك
 من المرء الا طبيعة قوية فيه ومن امثال الانكليز « اذا

زرعت عملاً حصدت عادة واذا زرعت عادة حصدت
طبيعة»

ان الافعال تحاكي البذور التي يزرعها الزارع في
الارض وفي عقباها تحصل العادة ومجموع العادات
يولف الشخص فما انت الا مجموعة عاداتك . بناءً عليه فقد
وجب ان نعتني جداً بتربية وتهذيب اعمالنا وشواعرنا
فان الميول والافكار المتشربة بالرذيلة . تؤدي الى اسقاطنا
انسانياً وخرابنا مالياً وابلاننا جسدياً ولذلك فان الخطيئة
والرذيلة محض جهل . انها نتيجة عدم ادراكنا حقيقة
الحياة

الخطيئة اسر

ما هي الحرية ؟ ظن بعضهم ان الحرية هي ان يعمل
الانسان ويقول ما يريد فهذا اعتقاد مخطئ وان صبح هذا
فالمجانين اذن في طبيعة الاحرار

الحرية الحقيقية ليست بان يعمل الانسان ما يريد
بل في ان يعمل الصالح المفيد وبان يكون مقتدرًا على
هجر الاعمال المضرة مرئياً وعاملاً الاعمال المفيدة
للمجموع

والا فان الانسان لو قال انا حر واخذ يعمل الضرر
كمن يضرب نفسه فهو معتوه . واذا درسنا المسألة من
جهة الصحة والعافية نجد ان الحرية تمذر الانسان من
الاشياء المضرة بصحته وتوجب عليه النافع لها

الانسان حر بان ياكل القدر الذي يريد من الطعام
ولكن اذا زاد عن درجة احتمال معدته فانه يتضرر
ويحتاج الى الطبيب الذي يوصيه بان يراعي قانون
الصحة ويعلمه بانه ليس حراً بان ياكل اكثر من
احتياجه بل انه اسير معدته وتحمل جسده وان استعمل
حريته كما يشاء فانه يمرض ويموت

ان هذا المبدأ يصح اعتناقه ايضاً في حياتنا الاخلاقية .

فان الحرية الشخصية ليست بان يعيش الانسان كيفما
شاء باخلاق صالحة او اخلاق شريرة بل ان الحرية
الحقيقية هي ان نعمل ما يفيد وينفع اخلاقنا ونحذر مما
يضر بها ونبتعد عنه فاتباع الشهوات ليس حرية بل هو
اسر لانه يضر بشخصيتنا . يمكن الانسان ان يطمع بكل
ما يراه وان يشتهي اشياء الآخرين ويحسد هم عليها وان
يكون محبا لذاته انانياً ولكن ذلك ليس حرية لان تلك
الامور تذل شخصيته وتخل بانسانيته وتكسر نفوذه
واعتباره فالحرية الحقيقية في هذا الشأن هي في الاقتدار
على الابتعاد عن هذه الامور لا في اعتناقها والعمل بها
بناءً عليه فالخطيئة ليست حرية بل هي اسر . وفي
كل يوم نرى باعيننا اولئك الشبان المساكين اولاد
النعم والرفاه الذين امسوا فقراء ومحتاجين بسبب اتباعهم
شهواتهم . واولئك الاقوياء الذين بسبب ادمانهم
المسكرات واراغم انغماسهم فيها اللحد بعد امراض واوجاع
شديدة

ان الانسان المحب للذات الاناني الطماع الحسود
 يكون دائماً غير محبوب وغير مقبول عند الناس وهو دائماً
 متعذب يكاد ان يقتله كيدته وتكون اخلاقه سافلة
 ولا فائدة منه لابناء جنسه وانك لتجد في كل مكان
 قوماً يحصدون العذاب والآلام الجسدية والنفسية من
 اعمالهم وهذا كله نتيجة الخطيئة
 فمع حسن الاخلاق تكون الحرية . وليست الحرية
 من سوء الاخلاق في شيء

منبع الخطيئة

انه وان كان لمحيطنا اثر قوي في اخلاقنا وان كان
 العيش في محيط صالح اسهل منه في محيط غير مساعد
 الا ان منبع الخطيئة ليس في الحالات والكيفيات الخارجية
 بل اصل وسبب هذه الخطيئة هو باطني في الانسان ولكن
 الاحوال والكيفيات الخارجية تكون سبباً لظهور تلك
 الخطيئة

فانك تنظر الى شخصين في حادث واحد فتجد
 احدهما غضبان يشتعل غيظاً وحقدآ فيشتم ويسب والاخر
 يتلقى الحادثة ببرودة وسلامة . وانك تجد امام حادث
 الاغواء الواحد شخصين فاحدهما يضع ارادته فيسقط
 بين ايدي مغويه والاخر يحكم على ارادته ويضبط نفسه
 فيحافظ على عفافه . انك لتجد الكثيرين يسرعون الى
 الغواية رغم ما لهم من احوال تساعد على التخلص
 منها وتجد بعض الناس يعتصمون بحبال طهارتهم حتى في
 اشد الحالات كيوسف الصديق مثلاً

نعم ان للحال والكيفية اهمية ولكن اصل المسألة
 هي مسألة الدور الذي تمثله ارادة الانسان في تلك
 الاحوال والكيفيات . ان الخطيئة تنشأ عن انهماكنا الباطني
 فالانسان يسقط في الخطيئة في الفكر والحس قبل ان
 يسقط فيها في الفعل . فالحسد والطمع يرتكزان اولاً في
 باطن الانسان وبعد ان يملكا عليه حواسه يظهران
 للخارج بمظاهر الغضب والشم وكسر الخاطر وقد يدفعان

بصاحبهما الى ارتكاب جناية

وكذلك الشهوات الحيوانية فبعد ان تنمو في باطننا
تظهر في الخارج فتسوقنا الى دور الفسق والفجور فندخل
ابوابها ونلطف بادرانها نفوسنا . اما نحن فبوجه عام نجتهد
بان نتخلص من هذه الحوادث بنسبتها الى الشيطان ونقول
انه اغوانا مع اننا نملك حرية شخصية تكفي للشعور
بالمسؤولية الاخلاقية الناتجة عن ارتكابنا الافعال الرديئة

ومهما كانت الاحوال والكيفيات المحيطة بنا والميول
التي ورثناها عن اهلنا فاننا نملك في كل وقت الحس
والشعور الكافيين لتحمل مسؤولية انتخاب الطريق
التي نسلك فيها

نحن لسنا مغلوبين وماسوري حوادث الحياة وان كنا
نظفر كثيراً الى السير في الظلام ولكن لسنا كتلك
الاشخاب المتجمعة بهيئة مركب والتي لا دفعة ولا مكان
ولا ربان بل لها بالعكس مثل ذلك المركب الذي فيه دفعة

وسكان فيمكن لربانه ان يسيره فوق الامواج الى حيث
بر السلامة

وهذا هو كبر الانسان وشرف اقتداره ومن هنا
نشأت الخطيئة لانه بينما يمكننا ان نعمل صالحاً لا نعمل
الا طالحاً وبينما نرى الحق نتغاضى عنه الى الظلم
وعوضاً عن الرفعة والعلو نهوي الى السقوط في دركات
السفالة فنسقط في الخطيئة فليست مسألة الخطيئة مسألة
شيطان بل مسألة ارادة

فالخطيئة هي اساءة استعمال الانسان لحرية وبناء
عليه فتحن المسؤلون عن خطايانا

في محاربة الخطيئة

هذه اعتقد المسائل ولكنها اهمها ايضاً : يجب على
كل انسان ان يعرف كيف يحسن استعمال ارادته حتى
يتسكن من صرف قواه في طرق الخير وسبل الحياة
السعيدة

اما ذلك الانسان الذي ثقيمه وتقعده المسائل
 التافهة وتهزه نسيمات ارياح الحوادث البسيطة وتجذبهُ
 نحوها التأثيرات الخارجية الضعيفة فهذا كما انه لا يقدر
 على ادارة حياته جيداً فهو لا يومل من حياته اقل فائدة
 لبني جنسه . لذلك فقد وجب على كل من يريد
 ان يكون انساناً حقيقياً ان يحارب الخطيئة وهذه مسألة
 حيوية

الواسطة للخلاص من الخطيئة ليست بقتل الشعور

قد اوصى بعضهم بقتل الشعور للتخلص من
 الخطيئة وهذا من تعاليم (بوذا) لانه هكذا علم وهكنا
 عاش فهو يعتقد ان اعدى عدو الانسان رغائبه وميوله
 وبناءً عليه فهو يوصي بان تقتل هذه الميول والرغائب بكل
 الوسائل الممكنة حتى نصل في النتيجة الى حالة من المسكنة
 مجردة عن كل ميل وكل شعور . وغاية تعليم بوذا هي
 ما دعاه (نروانه) اي عدم الشعور الباطني . واما هو فلكي

يصل الى ذلك فقد هجر عائلته واهله واجتهد ليعيش
حياة خالية من كل ميل ومع ذلك فان شريعة بوذا هذه
لم تهدي الى صراط السلامة المستقيم

لان ليس بامكان الانسان ان يعيش بدون عاطفة
او ميل

فلنجتهد مهما اجتهدنا فلا يمكن ان نصل الى حال
نفقد فيها حسنا وشعورنا وفضلاً عن ذلك فان تعليم
بوذا مغلوط من اساسه لان الميول وعدم الحاسات ليست
بحد ذاتها اشياء مضرّة وليس الجمود وعدم الشعور مما يرغب
فيه للانسان وليست الحاسات سبباً لعدم السلامة بل
سبب هذا هو اساءتنا استعمال حاساتنا وشواعرنا فلو
هذبنا حاساتنا ووجهناها الى المقاصد القويمة لكان حصل
لنا في حياتنا شعور القناعة . واما العطل من الحس فليس
من الانسانية في شيء ولا يولد فينا حب القناعة . الانسان
فعال ولكن عليه ان يفعل في سبيل المقصد المستقيم . وليس

سبب الخطيئة في علاقة الإنسان في الحياة ، ليس في
الاكل والشرب بل في ان يعيش المرء لاجل الاكل
والشرب . نحن مجبورون على لبس الثياب ولكن لا شيء
يجبرنا على ان تستعبدنا الازياء . فنحصر جميع افكارنا
وجهدنا لاجل اتباعها واقتنائها وان فعلنا فنكون اسأنا
العمل

كذلك ليس الاثراء والغنى خطيئة ولكن حصر
الانسان اعماله وحياته فقط لاجل الاثراء والغنى فهذا
مخطئ

ان الخطيئة هي في ان يتبع الانسان ميوله ورغائبه
السافلة اما طريقة (بوذا) فانها لا تصلح علاجاً للتخلص
من الخطيئة لان الاعتزال والانفراد لا يخلصنا من
الخطيئة بل نكون قد صرفنا جهوداً في غير فائدة

وكذلك المراسم والطقوس فانها لا تكفي

وقد اوصى بعضهم بمحاربة الخطيئة في اجراء مراسم
وطقوس فلو كانت الخطيئة امراً متعلقاً باجسادنا لكان
بامكان المراسم والطقوس الخارجية ان تطهرنا ولكن
الخطيئة شيء يتعلق بشخصيتنا الانسانية فمن العبث ان
نجهد في تنظيفنا منها بالوسائط الخارجية فاذا غسلنا ايدينا
وارجلنا حتى وكل جسدنا بالوضوء او بالعماد وبقيت افكارنا
ملطخة بالحسد والطمع والشهوة فما الفائدة من تلك
النظافة الجسدية

لو اقمنا صلاتنا في اوقاتها وطبقاً لاصولها ولكن
الانانية وعداوة الآخرين وحس الظلم بقيت متصلة في
نفوسنا فما هي الفائدة من الصلاة والعبادة فالمراسم والطقوس
لا تخلصنا من الخطايا ويوجد من يؤمن انه باقامة
الصلاة وطقوس العبادة على الوجه المذكور يربح فضيلة

فينجو من جزاء الخطيئة فهذا بالطبع امل فارغ ومع ذلك
فاصل المسألة ليس متعلقاً بالتخلص من جزاء الخطيئة بل
القصد هو التخلص من ذات الخطيئة فيجب ان نتبدل
طبيعة الانسان وسجيته

نقطتان مهمتان

في درسنا مسألة محاربة الخطيئة يلزمنا ان ندرس
نقطتين هامتين وهما :

الاولى - القوى والاستعدادات الاخلاقية الكامنة
في الانسان

الثانية - استعمال هذه القوى والاستعدادات
الاخلاقية بصورة مؤثرة

النقطة الاولى : القوى الاخلاقية

ففي درس الاولى ندرس ما فينا من منابع للقوى
الاخلاقية . . ان الانسان في اصله موجود اخلاقي

فنحن خلقنا في هذه الحياة مجهزين بقوى واستعدادات اخلاقية عجيبة فان الطبيعة وضعت فينا كل القوات والمعدات اللازمة لاحتمالنا كل مصائب الحياة وتجاربها ومشكلاتها فيمكننا ان نعيش باخلاق حسنة حتى في اشد الضيقات . وتاريخ البشر ملآن بامثلة عن ذلك وهذه القوة هي ركن عظيم لحياتنا وجميع الترقيات البشرية حصلت بالاستناد على هذا الركن ولولا ذلك لظل الناس في حال الوحشية وطور البداوة

الانسان فطر على ان يكون مقتدرآ على محاربة اشد الحالات مضايقة واتعسها حظآ فهو الذي جعل من الارض السواخ الكثيرة الاوحال جنات واجرى في الصحارى ينابيع المياه وحفر آبارها وجعل الدنيا المتفجرة صالحة للسكنى ورفاه العيش . وكذلك فانه بفضل التربية والتعليم وتقوية الارادة نبغ واشتهر حتى في احط محيط نوابغ خدموا الانسانية والوطن خدمات جلى فكما يمكننا ان نبذل ونغير في احوالنا المادية فهكذا يمكننا ان نصحح اغلاطنا ونهذب

اخلاقنا فمتى كان لنا هدف مستقيم امكنا ان نسوق
 اخلاقنا وقوانا في سبيل هذا الهدف

ان الحال الطبيعي للانسان هو حال الصلاح وليس
 حال الطلاح

اجل ان الاصل في الانسان ان يكون صالحاً ومحجاً
 للحقيقة وطاهر الوجدان فلذلك كان بإمكاننا ان نظل
 طاهرين وحسنين الاخلاق

ان اصدق مثال لهذا هو النظرية العصرية الواجب
 اتباعها في اصول تربية الاولاد قديماً كانوا يظنون ان
 الطفل يولد في وسط الخطيئة متسربلاً بها ولذلك فهم
 يعتقدون بلزوم تطهيره من ادران الخطيئة باجراء بعض
 طقوس ومراسم دينية وبسبب هذا الاعتقاد رسخ في
 الافكار ان الولد من طبعه خاطئ فيجتهدون في
 اصلاحه رويداً رويداً حتى يتملك الصلاح من نفسه
 اما اليوم فان هذه النظرية قد بطلت وتبدلت فلا الطفل
 يولد في الخطيئة ولا يحتاج الى مدة طويلة لاصلاح نفسه

وتطهيره من الخطيئة بل الاعتقاد السائد الان ان الطفل
يولد نظيفاً لا صالحاً ولا طالحاً ولكن فيه الاستعداد
ليكون صالحاً او طالحاً وهذا متوقف على التعليم والتربية
والعائلة والمحيط الذي ينشأ فيه فبتعليم صالح وتربية جيدة
تجعل من الطفل رجلاً مفيداً وبتعليم وتربية فاسدين
تجعله رجلاً مضرراً

ان الطفل يتبدى بان يتعلم من والديه ومعامليهما
له اما اخلاقاً جيدة واما خصالاً رديئة فهو في ذلك المحيط
العائلي يتنشق من هواء معاملات ابويه اما نسيم الانتفاع
والانانية او اريج المحبة والخدمة العامة فينشأ نافعاً صالح
الطبع . الطفل اشبه ببذار الزرع فكما ان البذرة التي
تلقى في ارض جيدة ويتعهد بها الفلاح بالسقاية والسماد
والفلاحة تنمو وتكبر فتصير شجرة تعطي ثمرأ جيداً
هكذا الولد فاذا كان يحيط به اخوة ورفاق طيبون شب
وشاب على اخلاق طيبة عالية

ليس من اللازم ان تظهر في الولد علامات الفساد

والرداءة وان يسقط في الخطيئة حتى يبادر الى اصلاحه
وليس في اصله شيء الاخلاق حتى يجتهد اهله باصلاحها
فيما بعد بل الواجب السهر على عدم ادخال الفساد اليه لان
الاصل هو الصلاح . والفساد والرذيلة مناقضان لهذا
الاصل

بناء عليه ليس من حالات الانسان الطبيعية ان
يكون اسيراً للخطيئة فهي عدو له وغريبة عنه ويمكنه ان
يتخلص منها بل يجب ان يتخلص منها . والاصل الصحة
والمرض عارض فكما كان طبيعياً ان يعيش المرء بصحة
جيدة هكذا كان طبيعياً ان يبقى على اخلاقه الجيدة وان
في الانسان ملكة واستعداداً كافياً لاجل ان يكون
كذلك واعظم عضد له في حربه مع الخطيئة هو هذه
القوى الاخلاقية الاصلية

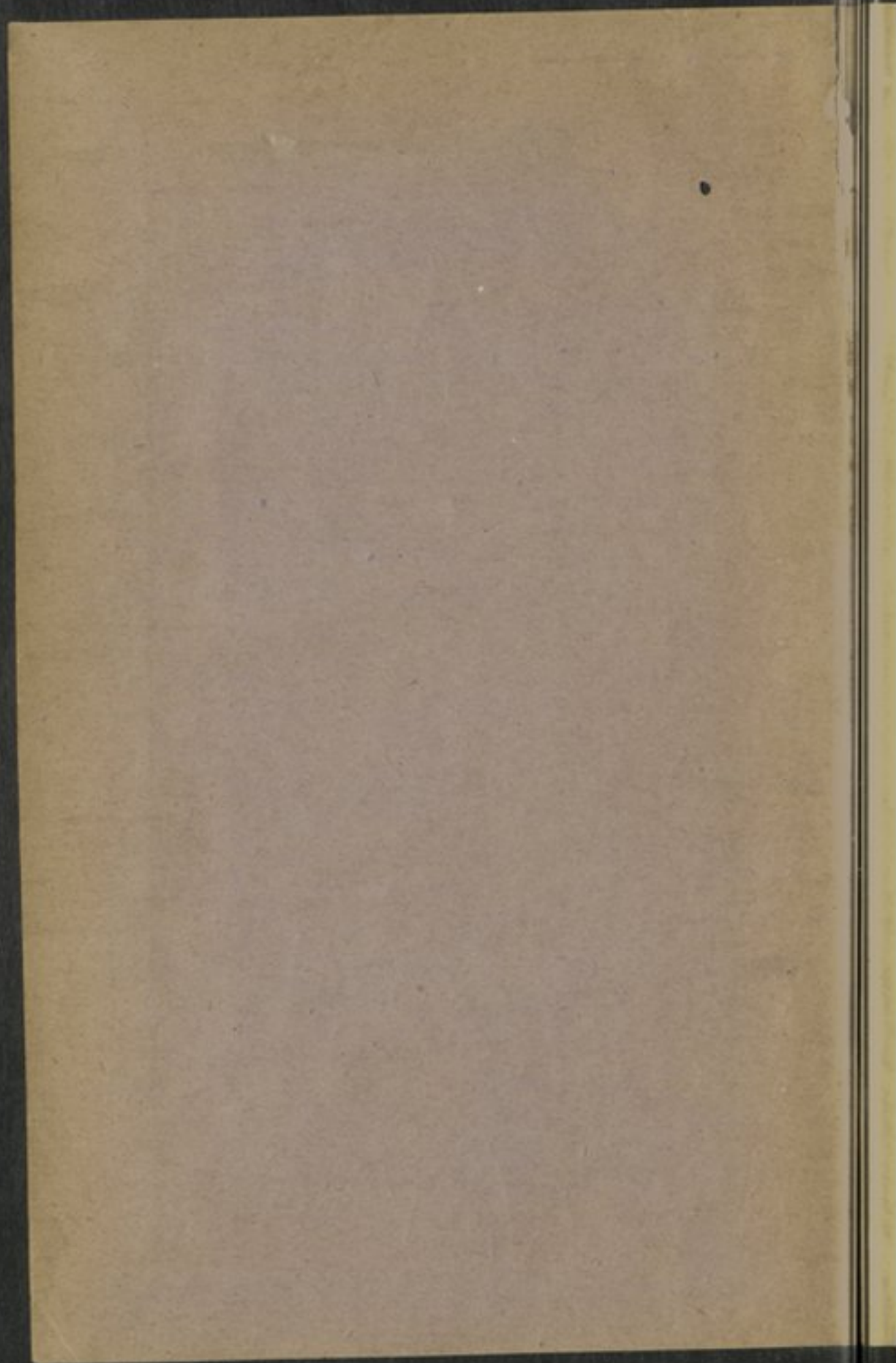
النقطة الثانية : استعمال القوى الاخلاقية

ان مسألة استعمال هذه القوى والاستعدادات

الاخلاقية المكتوزة في الانسان استعمالاً بموثرأ هي مسألة
 مهمة جداً . ان ميول الانسان ورغائبه هي بمثابة (محرك)
 لارادته فارادته تابعة ميوله وشهواته وتهيجاته كل ما
 رغب به واشتاقه جداً سعى اليه وتعقبه بسرعة فلذلك لم تكن
 الارادة وحدها كافية لاجل الاقتدار على العمل بل يجب
 مع الارادة الرغبة فيه والشوق الى الحصول عليه . لا يكفي
 ان ننوي على شيء بنصف فكر لننال بل يلزم ان نتعقبه
 بكل فكرنا ومن كل رغبتنا . امثلة ذلك كثيرة جداً .
 ان بعض الاشخاص الذين لا يقدرن على شيء في
 الاوقات العادية يصبحون بدافع المحبة الوطنية اهلاً لظهار
 شجاعة كبيرة في الاوقات الحرجة فكم من الاولاد
 المتأخرين في دروسهم يظهرون مهارة ونشاطاً في ميادين
 المسابقات بدافع الرغبة لنيل قصب السبق . كم من الناس
 يرضون بمقاومة المشكلات الكبرى مندفعين
 الى ذلك برغبتهم في اختراع شيء جديد فاذا احببنا شيئاً
 ورغبنا فيه جداً لا يكون وصولنا اليه متسحياً فلتنوا

ونعمل وقوة الرغبة المتملكة علينا تدفعنا الى الامام
وهكذا ايضاً هي الاخلاق فسقوطنا اخلاقياً مسبب
عن البرودة في نوايانا ومقرراتنا وعدم تهيجنا فاذا نوينا
وقررنا بنصف فكر تكون العقبى انا نتغلب . يجب ان
نعيش على الصلاح والجودة والاستقامة والعفة واللطافة
من كل قلبنا ومن كل فكرنا ولكن في دنيا المسرات هذه
من يتعقب هذه الاشياء المجردة في عالم اللذة والسرور هذا ؟
من يفكر بالحقيقة والصلاح ؟ نعم الذين يفكرون قليلون
جداً ولكن الاناس الحقيقيون هم الذين يبحثون عن
هذه الامور

كل من يستط في السيل يفرق ويهلك وانما المقدرة
والعظمة هي للذين يمكنهم ان يقطعوا هذا السيل . وليس
من انسان كبير الا وقطع هذا السيل . ان الانسان مخلوق
عجيب ان شاء جعل الجنة جهنماً وجهنم جنة



✓ 1905

240:L72mA:c.1

ليفونيان، لطفى

مكتبة الاخلاق الدينية

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01000650



240
L72mA

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT
LIBRARY

240
L72mA
C-1